مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

ترجمات 1

حضرموت

التاريخ والنقوش والديانة

فصول ترجمها

د. خالد عوض بن مخاشن

حضرموت

فصول من التاريخ والنقوش والديانة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

ⓒ مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م/ حضرموت: 235/ 2020م

عنوان الكتاب: حضرموت.. فصول من التاريخ والنقوش والديانة

ترجمها: د. خالد عوض بن مخاشن

القياس: 14 × 21 سم

الصفحات: 102 ص

الطبعة الأولى

1441هـ - 2020م

دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع - مصر

هاتف وواتس آب: 00201008170225

بريدً إلكتروني: daralwefaqnet@gmail.com

حضرموت

فصول من التاريخ والنقوش والديانة

فصول ترجمها

د. خالد عوض بن مخاشن

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

تصدير

يسر مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر ممثلا بإدارة الدراسات والبحوث أن يقدم للقارئ الكريم هذا الإصدار من سلسلة كتاب مركز حضرموت الذي خصصناه لترجمة بعض ما كتب عن حضرموت باللغات الأجنبية في عدد من الجوانب التي تهم الشأن الحضرمي تاريخًا وحضارة وثقافة.

إن ما كتب عن حضرموت باللغات الأجنبية في سبعينيات القرن الفارط تجاوز أكثر من خمسة آلاف دراسة وكتاب ومقال حسبما أفاد أحد أصدقاء المرحوم بإذن الله الأستاذ الدكتور سعيد عبد الخير النوبان عند تقديمه لكتاب (حول مصادر التاريخ الحضرمي) للمستشرق البريطاني آر. بي. سارجنت، فما هو اليوم حجم ما كتب عن حضرموت بغير اللغة العربية بعد مرور نصف قرن على تلك الإفادة؟

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

إن تعريب بعض ما كتب عن حضرموت وتقديمه للقارئ إنما يأتي وفقا لأهداف المركز ومهامه المتمثلة في المتابعة المستمرة لكل ما ينشر عن تاريخ حضرموت وحضارتها باللغات الأجنبية وترجمة ما يرى المركز ترجمته. وهنا نوجه الدعوة لكل المهتمين والباحثين بغير اللغة العربية أن يدلوا بدلوهم في هذا المجال وأن يمدونا بما لديهم من أعمال الترجمة عن أحوال حضرموت كافة.

د. حسن صالح الفلام العمودي

مدير إدارة الدراسات والبحوث بالمركز

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

رحلة إلى حضرموت

أدو لوف بارون ريدي ADOLPHE PARON WREDE

نقلها: الكابتن جي. بي. هينز Capt. J . B. Haines

الجمعية الجغرافية الملكية بلندن المجلد ١٤ (١٨٤٤م)

من الصفحة ١٠٧ إلى الصفحة ١١٢

نظرًا لاهتمامكم بكلِّ ما مِن شأنِهِ الرقي بالعلمِ والمعرفةِ، اسمحوا لي أن أُقدِم بين أيديكم وصفًا موجزًا لرحلةٍ عدتُ منها توًّا، قمتُ بها إلى منطقةٍ، تُعد من أكثرِ مناطق الجزيرة العربية إثارةً للاهتمام، إنها المنطقة التي تُطلق عليها خرائِطُنا الحالية اسمَ (حضرموت)، تلك المنطقة الفاصلة بين صحاري الأحقاف، والمحيط الهندي.

لقد باءت بالفشل كلُّ تلك المحاولات، التي قام بها الرحالةُ السابقون؛ للتغلغل في أعماق الجنوب العربي؛ نظرًا للتعصب الديني

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

الشديد لدى كل الناس هناك، وخاصة لدى قاطني المدن منهم. وقد أوصى الملازم ولستيد Wellsted في كتاباتهِ القيمة عن الجزيرة العربية الرحالة الذين سيأتون من بعده إلى هذه المناطق بالاحتشام، واللباقة، وارتداء ثياب المسلمين؛ ليتفادوا العيون التي تترصدهم هناك. وهذا ما قمت بهِ بالضبط.

ففي الثاني والعشرين من يونيو عام ١٨٤٣م غادرتُ عدن بحرًا، متخفيًا مطلقًا على نفسي اسمَ عبدالحق، أبحرتُ إلى الساحل، ومنه انطلقت إلى المكلا برًا. ولخوفي من لفت أنظار السكان هناك الذين تعاملوا مع الأوربيين من قبل وعلى دراية بهم، فقد عجَّلتُ موعد مغادرتي قدر المستطاع، وتركتُ المكلا في السادس والعشرين من يونيو باتجاه حضرموت الداخل، تحت حماية بعض البدو من قبيلة العكابرة القوية.

لقد كان وادي دوعن الشهير وجهة رحلتي الأولى، وقد وصلته بعد رحلة استمرت ثمانية أيام ونصف من المشي. كانت مراحل السفر والمسافة التي نقطعها قصيرة عمومًا، لكن سبب تأخرنا

واستغراقنا لكل هذا الوقت هو أننا كنا نمر عبر حواف جبال شديدة الانحدار والخطورة، وأما الوقت الحقيقي الذي استغرقناه في الطريق فلم يتجاوز ٤٩ ساعة و١٨ دقيقة في اتجاه الشمال الغربي.

اجتزنا في اليوم الأول من رحلتنا الكثير من الأودية العميقة والضيقة جدًا، تحفها جبال غرانيتية جردٌ، يصل ارتفاع قممها المثلمة إلى ٢٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، ويتفجر من جوانب تلك الجبال الكثير من ينابيع المياه الحديدية، التي تتراوح درجة حرارتها من ١٠٠ إلى ١٣٠ فهرنهايت، مياه تلك الينابيع صالحة للشرب، بل وجيدة جدًّا؛ لعدم احتوائها على أي أثرٍ للكبريت. ومع أن أراضي الأودية تبدو غير خصبة، فإن بها أشجارًا ونباتات جمة، توفر غذاءً كافيًا للجمال، التي تسلك الطرق المنتشرة في هذه الأودية في قوافل طويلة وكثيرة، وتوفر أوراق الأشجار الباسقة ملاذًا للمسافرين في وقت الظهيرة، وتقيهم لهيب أشعة الشمس الحارقة، إذ يسود هذه الأودية هدوء تام من العاشرة صباحًا إلى الرابعة بعد الظهر؛ وذلك لارتفاع درجات الحرارة، التي تتراوح من ١٥٠ إلى ١٦٠ درجة فهرنهايت.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

تمر الطريق بعدة قرى، في حين تقبع قرى أخرى على مسافة ليست بالبعيدة منها.

في اليوم الرابع من رحلتنا ارتقيت جبلًا يسمى (جبل الصدارة Sidara)، يرتفع ٤٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، وتغطي النباتات العطرية جوانبه، ما إن وصلت إلى قمة ذلك الجبل حتى وجدت نفسي أقف تحت سفح قمتين شاهقتين، تسميان (غريبه وفرجله Chareibe and Farjalat) ، إحداهما عن يميني، والأخرى عن يساري، وترتفعان عموديًا لتصلا إلى ٨٠٠ قدم فوق المكان الذي أقف فيه، ولأن المسافة بين هاتين القمتين لا تزيد عن مسافة عشر دقائق مشيًا فقد بدتا كعمودين عملاقين لبوابة ضخمة، هنا في هذا المكان يغطي الحجرُ الغرانيتي الحجرَ الرملي الحديدي، وهنا أيضًا أخذ مؤشرُ جهازِ قياسِ الحرارة الفهرنهايتي في الانخفاض نحو الأسفل، وشعرنا بتغلغل البرد في أعماق أجسادنا التي أنهكها المشي المضني.

في اليوم التالي تسلقت بعض التلال الشبيهة بالأرائك التي يعلو بعضها بعضًا، أعلى تلٍّ من هذه التلال يسمى جبل ظرا (drora)، منذ بداية رحلة هذا اليوم وأنا أشاهد الحجر الرملي الحديدي الصلب، ذا اللون الأصفر، والتركيب الحبيبي وقد غطته الأحجار الرملية، حينها كنت على ارتفاع ٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، ماشيًا من جهة الغرب باتجاه الشمال الشرقي عبر سهل مصفرٍّ مترامي الأطراف، تنتصب فيه هنا وهناك جبال وتلال مخروطية الشكل. خلف السهل من جهة الشرق تلوح قمة جبل كور سيبان العملاقة. وأما من جهة الجنوب فترى مخروطات غرانيتية سوداء، ويتدنى هنا مستوى الرؤية بسبب الأجواء الضبابية الآتية من أعماق المحيط، في هذا المكان تمتد الطريق على أرض مستوية، لا صعود فيها ولا هبوط، وعلى يمين وشمال هذا السهل تتعرج أوديةٌ جمةٌ، مارة بمضائق جبلية؛ لتحمل مياه الأمطار إلى المناطق المنخفضة. وحين يصل المسافرون إلى بداية الشعاب والوديان يصادفون القليل من أشجار السلم غير مكتملة النمو، التي توفر لهم القليل من الظل،

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

ولجمالهم الشيء اليسير من الطعام. وعلى مسافة كل ستة أو تسعة أميال تجد أحواض مياه (كرفان)، ولكن لا تجد قرى ولا أحراشًا يمكن لها أن تضع حدًا لرتابة ذلك السهل الكبير. إنَّ درجات الحرارة صباحًا تكون مقبولة ولطيفة في هذه الهضبة، ولا تتجاوز ٨٠ فهرنهايت، ولكنها تنخفض مساءً لتصل إلى ٥٠ فهرنهايت، ويكون الجو باردًا جدًّا.

فاجأني الظهور غير المتوقع لوادي دوعن، واندهشت كثيرًا لروعة المنظر وجماله. ينحصر الوادي، الذي يبلغ عرضه ٥٠٠ قدم وعمقه ٦٠٠ قدم، بين صخور شاهقة قائمة الانحدار، ويشكل حطامُ تلك الصخور وركامها منحدرات تصل في ارتفاعها نصف ارتفاع تلك الصخور الشاهقة. وعلى هذه المنحدرات تنتصب القرى والمدن، متاخمًا بعضها بعضًا، وكأنها مسارح الإغريق المدرَّجة، بينما في الأسفل ترى النهر، الذي يبلغ عرضه حوالي ٢٠ قدمًا، وتغطيه غابة من أشجار النخيل، وعلى جانبيه حواجز جدارية عالية، وهو يجري في الحقول المرتبة والمنظمة على شكل

مدرجات، ثم يواصل شق طريقه عبر السهل المفتوح، الذي يُروى عبر قنوات صغيرة تتفرع منه. يحدوني الأمل أنَّ وصفي لدوعن سيكوّن لديكم فكرة صحيحة عنها، وعن أحوالها، وشخصيات أهلها، خلافًا لما قدمه الرحالة الآخرون من أقوال متناقضة حيالها.

أظهرت لي الإطلالة الأولى على الوادي أربع بلدات، وأربع قرى على بعد ساعة من المشي، لكن الطريق التي تهبط بك إلى الوادي خطرة جدًّا، وخاصة الجزء العلوي منها، فعلى يمينك منحدر يصل ارتفاعه عن الأرض من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ قدم، وعلى يسارك جدار صخري، يكاد يسد الطريق تمامًا، تاركًا ممرًا ضيقًا بعرض ٤ أقدام فقط، ومما يزيد من خطورة تلك الطريق أن ذلك الممر الضيق مرصوف بالحجر الحصوي، الذي أصبح أملس كالمرآة؛ نظرًا لكثرة مرور البشر والحيوانات عليه، ولا يوجد سياج من أي نوع كان؛ لمنع حوادث الانزلاق إلى الهاوية.

في الخريبة إحدى بلدات الوادي استقبلنا واستضافنا شيخ كريم، يُدعى الشيخ عبدالله باسودان، وهو من الشيوخ المشهود لهم

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

بالورع والتأثير في البلاد، ومن الخريبة اتجهتُ نحو الجنوب الغربي كي أقوم بنسخ النقوش الموجودة في وادي العبينة Uebbene ، ووادي ميفعة. لم يسمح لي بزيارة نقب الهجر، ولا عيشان Eisan،، ولا حبالين Habalen؛. ومع ذلك فقد اكتشفت نقوشًا حميرية على جدار يُعدُّ بمنزلة سور للوادي. في وادي عبين وعلى بعد ستة أميال من نقب الهجر استوقفني جماعة من البدو، وأرغموني على العودة إلى دوعن.

أما حبّان فقد كانت حينها تعيش حالة تمرد وعصيان مفتوحة، بعد أن أطاح ابن أخ السلطان بعمه السلطان أحمد بن عبدالواحد من العرش، وأودعه وأخاه السجن.

ما بين وادي دوعن ووادي ميفعة وعلى بعد مسيرة خمسة أيام يقع وادي حجر الخصيب، الذي يعج بغابات كثيفة من أشجار النخيل، يسقيها نهر صغير دائم الجريان، ينحدر عبر منطقة تقدر بمسيرة أربعة أميال، باتجاه الشمال الغربي عند بلدة الحوطة، وعلى مسافة رحلة يوم باتجاه أسفل الوادي تقع جزول، وبمواصلة المشي

نحو المناطق السفلى، وعلى مسافة أربعة أيام مشيًا يقع وادي ميفعة، الذي يتساوى ارتفاعه مع مستوى ارتفاع سطح البحر عند قرية (بير الحسي) شرق (رأس الكلب).

لقد سلكتُ طريقًا شمالية تمر عبر وادي ريدة الدين لأصل إلى بلدة الخريبة، خلال ثمانية أيام بعد غياب عن تلك البلدة استمر لعشرين يومًا. يتغير اسم وادي دوعن وفقًا للمنطقة التي يمر بها، فمثلًا في الخريبة يسمى وادي النبي، وبعد هذه المنطقة يسمى وادي دوعن، وابتداء من قيدون يسمى وادي الهجرين، وابتداء من حورة يسمى وادي الكسر، وابتداء من قبر النبي هود يسمى وادي المسيلة؛ حيث يصب في البحر بالقرب من ساه هود.

بعد استراحة قصيرة دامت أيامًا قلائل انطلقتُ مجددًا نحو الجهة الشمالية الغربية، وبعد يومين من السفر المضني وصلت إلى وادي عمد، وسلكته متجهًا نحو الشمال. إن هذا الوادي مساوٍ لوادي دوعن؛ من حيث الاتساع، والامتداد، ويشبهه من حيث الشكل، كما أن بلدات هذا الوادي متقابلة ومتاخم بعضها بعضًا،

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

كما هو حال بلدات وادي دوعن، ومن حورة حيث يتلاقى وادي عمد ووادي الهجرين صعدت الهضبة، متجهًا نحو الغرب لأصل بعد أربعة أيام إلى بلدة سنا في وادي رخية. هذا الوادي لا يسكنه أناس كثيرون، مثل وادي دوعن ووادي عمد، فمعظم مناطقه تغطيها الرمال. الطريق من سنا إلى تريم عبر وادي الكسر تأخذ ثمانية أيام. هنا وفي هذا المكان قيل لي: إن صحراء الأحقاف على بعد مسيرة يوم، وقيل لي أيضًا: إن هذه الطريق التي تمر بقبر النبي هود طريق غير سالكة، وتسمى (بحر الصافي)، وإن بها الكثير من الكثبان الرملية، التي تبتلع كل ما يقع عليها. تعود هذه التسمية إلى الملك صافي، الذي انطلق بجيشه من وديان سبأ، ورأس الغول، عبر هذه الطريق، ولكن هذا الجيش تاه وهلك في منتصف هذه الصحراء.

في اليوم الثاني انطلقتُ نحو تلك الطريق لأتأكد بنفسي عن مدى صحة هذا الكلام. انطلقتُ في رحلة استمرت ست ساعات باتجاه الشمال الغربي لأصل أخيرًا إلى أطراف تلك الصحراء. هناك تنخفض هذه الصحاري عن مستوى ارتفاع الأراضي المرتفعة

بحوالي ١٠٠٠ قدم. لقد أدهشتني كآبة مشهد تلك الصحاري كثيرًا، فلك أن تتخيل ذلك المشهد من سهل رملي هائل، ممتد في الأفق، تحفه أعداد لا تحصى من التلال المتموجة، فيظهر وكأنه بحر متحرك. لا ترى فيه أي أثر لأي نبات؛ ليغطي ذلك الاتساع الهائل والخالي من كل أنواع الحياة. لا تسمع هناك تغريدًا لأي طائرٍ، كان يمكنه كسر هدوء وصمت قبور الجيش السبئي المطمورة تحت هذه الرمال.

لقد استطعتُ أن أرى بوضوح ثلاثة أماكن بيضاء متألقة، فقمت بقياس هندسي لمواقعها وأبعادها. قال لي أحد المرشدين المرافقين لي: »هذا هو البحر الصافي، تسكن الأشباح هذه الجروف، وتقوم بحماية الكنوز الموجودة هناك، من خلال تغطيتها برمال غدارة تبتلع كل من اقترب منها، لذا يجب عليك ألَّا تذهب هناك«.

بالطبع لم ألقِ بالًا لكل تحذيراتهم هذه، ولكني طلبت منهم أن يقودوني إلى هذه الأماكن حسب ما تم من اتفاق بيني وبين البدو. مشتْ بنا الجمال ساعتين كاملتين؛ لنصل إلى سفح هضبة مرتفعة؛ إذ توقفنا هناك مع غروب الشمس بجوار قلعتين صخريتين عظيمتين.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

في صباح اليوم الثاني دعوت البدو إلى مرافقتي والذهاب معًا إلى تلك الأماكن، التي أشرت إليها آنفًا، ولكنني لم أستطع إغراءهم، أو إقناعهم بالذهاب معي، فالخوف من الأشباح قد تملكهم تمامًا، إلى حد أنهم لم يتجرؤوا حتى على الرد على طلبي لهم بالذهاب معي، ولذلك قررت الذهاب بمفردي، وأخذت معي حبلًا بطول ستين قامة، مربوط بطرفه ثقل من الرصاص، يزن نصف كيلو؛ لأسبر أغوار تلك الرمال الغادرة، وانطلقت في رحلتي هذه المحفوفة بالمخاطر. وبعد ست وثلاثين دقيقة وصلت إلى أقرب تلك الأماكن من جهة الشمال، في ظل هدوء كامل للرياح، وبحذر شديد اقتربت من أطراف ذلك المكان؛ لأفحص الرمال هناك، وقد وجدتها رمالًا دقيقة ناعمة إلى حد بعيد، ثم قمت برمي طرف الحبل الذي ربط فيه الثقل إلى أبعد مكان، فغاص في الرمال في الحال، ثم أخذ الحبل يتقاصر ويتناقص غائرًا في أعماق الرمال، وبعد مرور خمس دقائق اختفى طرف الحبل الأخير كليًا وابتلعه ذلك القبر المفترس. بالطبع لن أجازف بطرح رأيي الشخصي عن هذه الظاهرة، ولكنني أحيلها لذوي الاختصاص، وأكتفي بسرد الحقائق كما شاهدتها.

في اليوم التالي عدت إلى سنا، وزرت أحد القبور، التي تعود إلى الحقبة الحميرية، ويقع على بعد ١٥ دقيقة من البلدة. لكنْ لسوء الحظ فإن تعصب أحد الشيوخ أدَّى إلى تدمير النقوش، التي كانت على مدخل ذلك الضريح. وفي اليوم التالي رحلت عائدًا إلى الخريبة، ووصلتها بعد أربعة أيام من المسير. وبعد أن مكثت أربعة أيام في هذه البلدة الكريمة المضيافة رحلت عنها، قاصدًا بلد قبر النبي هود، التي تعد مهمة جدًّا من الناحيتين الجغرافية والتاريخية، وقد رافقني في رحلتي هذه اثنان من أبناء الشخص الذي استضافنا، وكذا الحبيب ذائع الصيت عبدالله بن هادون. في الليلة الأولى من رحلتنا استرحنا في بلدة القرين في الجانب الأيمن من الوادي، وفي اليوم اللاحق وصلت إلى صيف، التي سبقني في الوصول إليها مرافقي بساعة. تجمعتْ في البلدة حشود كبيرة من الناس استعدادًا للاحتفال بزيارة الشيخ سعيد بن عيسى بن العمودي المدفون بمدينة قيدون، التي تقع على مقربة من صيف. وما إن وصلتُ إلى تلك الحشود حتى أخذوا يهاجمونني في الحال، وسحبوني من على

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

ظهر جملي، وانتزعوا سلاحي، وأخذوا يعاملونني بغلظة وشدة، رابطين يديَّ خلف ظهري، وحملوني بعد أن غطت الدماء والتراب وجهي إلى السلطان الحاكم محمد عبدالله بن عيسى العمودي. عندما أوصلني من قام بأسري إلى السلطان أطلقوا كلهم صيحة مخيفة جدًّا وأعلنوا أنهم ألقوا القبض على جاسوس إنجليزي يستطلع البلد، وطالبوا بإعدامي في الحال. لقد كان السلطان خائفًا من البدو، وكان كغيره من سلاطين الوادي معتمدًا على البدو، ولذا فقد كان على وشك إعطاء الأوامر بإعدامي لولا أن ظهر أخيرًا المرشدون والحراس التابعون لي، وأخذوا يهدئون البدو لما لهم من تأثير ديني وأخلاقي على هؤلاء البدو، وفي أثناء ذلك ألقي بي في السجن، داخل أحد الغرف، مقيَّد الأرجل، ومكثتُ في السجن ثلاثة أيام، ولكنهم كانوا يقدمون لي كل ما هو ضروري، وفي ليلة اليوم الثالث أتى إليَّ الحراس التابعون لي وزفوا لي البشرى بأنهم استطاعوا تهدئة نفوس البدو، ولكن البدو اشترطوا مغادرتي إلى المكلا، وأنه يتحتم عليَّ تسليم كل أوراقي وكتاباتي. في تلك الليلة

أخفيت أكبر عدد ممكن من أوراقي، ولم أسلمهم غير تلك الأوراق المكتوبة بالقلم الرصاص وقد رضوا بها. بعد أن سلمت لهم مدوَّناتي وملاحظاتي المكتوبة على بعض الأوراق أراد السلطان أن يلقي نظرة على أغراضي، وأخذ بالطبع كل ما أعجبه منها.

وفي صبيحة اليوم التالي انطلقتُ في رحلة العودة إلى المكلا، وقد وصلتها في الثامن من سبتمبر، بعد رحلة استمرت ١٢ يومًا، ومنها ركبت قاربًا متجهًا إلى عدن.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

محاولة ثانية لفهم السياق التاريخي لحصن العر في حضرموت

إي. جي. كيل (E.J. Keall)

ندوة الدراسات العربية المجلد ٢٥ (٢١ - ٢٣ يوليو ١٩٩٥م) أوكسفورد

في ربيع عام 1991 وجهت لي الهيئة اليمنية العامة للآثار والمخطوطات والمتاحف دعوة لزيارة حضرموت لإجراء دراسة هناك بعد تعثر الأعمال الأثرية الاعتيادية التي كانت تقوم بها البعثة الأثرية الكندية التابعة لمتحف أونتاريو الملكي Royal Ontario Museum في منطقة زبيد لأسباب خاصة. كان هدفي الأساسي من هذه الرحلة زيارة موقع حصن العر وذلك بسبب النقوش الحجرية الآتية من ذلك المكان التي أظهرت في بداية الأمر وجود عناصر أجنبية دخيلة على الجنوب العربي (انظر كيل(1992) (Keall). ظهر أول نقش

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

من هذه النقوش عام 1931م (انظر فان دير مولن وفون ويسمن (Van der Meulen- von Wissman (1932) ثم تلا ذلك ظهور نقوش أخرى وهي محفوظة الآن في متاحف عدن والمكلا وسيئون. أنا ممتن جدًا لحصولي على هذه الفرصة التي أتاحها لي القدر، التي أسهمت في إضافة موقع حصن العر إلى نطاق اهتمام البعثة الأثرية الكندية في عام 1993 وفقاً لاتفاق أبرم مع السلطات اليمنية. ويحدونا الأمل أن يتم توجيه بعثات تنقيب أثرية إلى تلك المنطقة في المستقبل.

إن اهتمامي الخاص بهذا الموقع كما أشرت آنفًا يكمن في التقاليد الفنية التي اتبعت في إنشاء هذه القطع المنحوتة التي تظهر على نحو واضح بأنها لا تعود إلى الجنوب العربي. لكن ينبغي الإشارة هنا إلى أن بعدها عن الجنوب العربي يكمن في الأسلوب وليس في المحتوى فمحتوى هذه المنحوتات يمثل بما لا يدع مجالاً للشك ما اعتاد عليه سكان الجنوب العربي في قضاء أوقات التسلية، ألا وهو مشاهد لممارسة هواية الصيد. أما فيما يتعلق بالأسلوب فعلى الرغم من أن

تاج العمود والبقايا الأثرية للعتبة[1] تختلف بعضُها عن بعض فإنهما ترتبطان ارتباطًا وثيقًا بتقاليد النقش الحجري البيزنطي والفارسي. كتب الكثير من المهتمين عن هذه القطع إلا أنهم اختلفوا في تحديد ما إذا كانت هذه القطع أقرب إلى الفن البيزنطي أو الفن الفارسي. أفضل ما نشر من وصف لذلك العمود موجود بالصفحة 241 من البيان الأثري المصور الذي ألفته بيرنيه Pirenne عام 1986م، الموجود بمتحف عدن رغم أن المؤلفة لم تحدد تاريخ ذلك العمود. أما هوفنر و فون وايسمن (1953) (Höfner- von Wissman) فقد أشارا إلى تأثر تصميم العمود بالفن الساساني وكذلك فعل جروهمان (1963) Grohman. لكن دو (1970) Doe رأى فيه تأثيرًا بيزنطيًا. ربط فون وايسمن وهوفنر(1953) von Wissmann Höfner - بين رسومات لشجرة الكرمة موجودة بجزء من قطعة أثرية عثر عليها في الحصن والرسومات الموجودة في تدمر. وفي فترة

١) عارضة مرتكزة على عمود بمثابة حلية معمارية فوق وعلى جانبيها باب أو فتحة مربعة. (المترجم)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

لاحقة اقترح منفرداً فون وايسمن (1968) von Wissmann أن يكون القرن الثالث بعد الميلاد هو تاريخ كل الأعمال الفنية الموجودة في حصن العر وربما يكون هذا الاقتراح مبنيًا على تلك المقارنة بين هذه الرسومات ورسومات تدمر.

أشار جروهمان (1963) Grohman إلى أن فون وايسمن Von Wissman هو من اكتشف القطعة الكبيرة من العمود الأثري لحصن العر عام 1959. لانكستر هاردنج (1964) Lankester Harding وصف تلك القطعة الأثرية عندما كانت لاتزال بالموقع أي في حصن العر وهي الآن محفوظة في مدينة المكلا. كما كتب عن بعض القطع والألواح الأثرية التي أخذت إلى سيئون معتبرًا أنها تعود في أسلوبها إلى الفن الروماني الأغريقي مرجحًا أنها تعود إلى الفترة ما بين (100ق.م إلى 100 م). وضع دو (1983) Doe عدة تواريخ قد تكون تعود إليها تلك القطع فيما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الثالث بعد الميلاد مؤكدًا تأثرها إلى حد ما بالفن القبطي، ولكنه كان يميل أكثر إلى تأكيد تأثر تلك القطع

بالفن السوري. أما ماثيو Mathew (1975) فقد أكد بأن الموقع يمثل أقدم أثر للتأثير الروماني الإغريقي الآتي من قانا [٢].

إن مصدر تلك النقوش كلها هو حصن العر الواقع على رابية نائية معزولة تمتد كنتوء صخري في وادي المسيلة تحيط به الخنادق الدفاعية الحضرمية النمطية. يسيطر الحصن تمامًا على المنطقة ويكشف الجهات الشرقية والغربية للوادي الرئيس وأفرعه الجانبية أيضًا. الجدران الخارجية للحصن عدلت أكثر من مرة وينبغي على المرء أن لا يؤكد وجود مراحل مختلفة من البناء في ذلك الجدار من غير أن تكون لديه الأدلة والتبريرات التي تؤكد ما يقوله، ففي حالات كثيرة نجد أن الاختلاف في حجارة البناء يعود إلى الحاجة إلى مساواة وترتيب أحجار الأساسات المثلمة والخشنة قبل بناء الجدران فوق تلك الأساسات. إن الانشقاق العمودي الواضح في البناء الحجري (انظر الصورة 6 اسفل) يؤكد احتمالية بناء الجدار على مرحلتين منفصلتين ومتتابعتين وليس ثمَّة دليل على أن الجدار

٢) قانا: قرية في لبنان (تقع في جنوب شرق صور). (المترجم)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

بني في مرحلتين تاريخيتين مختلفتين. بعض الأماكن في الجدار تبدو أكثر قدماً من بعض الأماكن الأخرى فيه لأننا ربما نشاهد الجزء الأوسط من الجدار بعد أن سقطت أو نهبت الحجارة التي استخدمت في تغطيته من الخارج. ومع كل هذا يبقى قائمـاً احتمال احتلال الحصن في القرن الثالث عشر أيام الدولة الرسولية حيث تم إرسال الكثير من الحملات إلى هذا الجزء من البلاد. (انظر جونستون (1982) Johnstone). فأحجار البناء المتناثرة في الجهة اليمنى تؤكد هذا الاحتمال (انظر الصورة 6 أعلى). وعلم الرغم من سطحية هذا الدليل فإنه يؤكد بأن المنطقة أصبحت صحراوية منذ أمدٍ بعيد. من المعروف أن الحصن قد تم إعادة استخدامه في الخمسينيات من قبل جيش البادية الحضرمي (انظر سيرجنت 1954م Sergeant) وبما أن الجنود لم يستطيعوا استخدام جدران الحصن فإن إمكانية إسهاماتهم في أي عمليات بناء تبقى متواضعة جداً. بعد مضي حوالي عقد من الزمن أفاد هاردنج (1964) Harding بأن الجنود غادروا الحصن منذ سنوات قلائل.

إن أقدم نشاط تم توثيقه في الموقع هو الحجرتان اللتان بهما نقوش واللتان لا تزالان في الجدار الخارجي للحصن (انظر الصورة 7 أعلى) وحسب علم البليوغرافيا[٣] فإنهما تعودان في تاريخهما إلى القرن الأول بعد الميلاد (فون وايسمن(Von Wissman (1968).

إن اختلاف مواصفات وأبعاد الحجرتين عن مواصفات وأبعاد الأحجار المجاورة لهما يجعلنا نرى أن هذا النقش الإهدائي وضع في مكان ثانوي غير مهم من الحصن، وهذا يعني أن البناء الأساسي للحصن لا بد أنه يعود إلى فترة زمنية تلت القرن الأول الميلادي الذي أعدت فيه تلك النقوش التي يبدو أنها قد جلبت من معبد للإلهة عشتار[٤] (ريكمانس (1962) Ryckmans).

لم يكتشف كل من فان دير مولن Van der Meulenوفون وايسمان Von Wissmann هاتين الحجرتين المعاد استخدامهما ولا النقوش التي بهما في رحلة اكتشاف الحصن الأولى عام 1931.

٣) البليوغرافيا: دراسة الكتابة والنقوش القديمة. (المترجم)

٤) عشتار هي آلهة الجنس والحب والجمال والتضحية في الحرب عند البابليين. (المترجم)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

فقد كان إنجرامس Ingrams هو أول من التقط صورة لهاتين الحجرتين في عام 1935م. كما أن دريوس Drewes أخذ لهما صورة أثناء مرافقته لفان دير مولن في البعثة الاستكشافية التي تمت عام 1952م. استخدم ريكمانس Ryckmans الصورة التي التقطها إنجرامس في تقديمه وترجمته لهذه النقوش وعند مراجعته لها استخدم الصورة التي أخذها دريوس Drewes ثم نشرها في النسخة الجديدة التي ظهرت عام ١٩٦٢م

كما أن العمود المنقوش الذي سلمه فان مولن وفون واتسمن لعدن عام 1933م قد وجد أيضًا في مكان فرعي من الحصن تحديدًا في الجدار الخارجي للحصن وبما أنه تم اكتشافه قبل التعديلات التي أجريت على الحصن من قبل جيش البادية الحضرمي فإنه بإمكاننا أن نتوقع بأن ذلك العمود قد استخدم لَبنةً من لبنات البناء أثناء الحملات الإسلامية الشهيرة في القرون الوسطى. العمود بالطبع ليس طرازًا إسلاميًا فإذا أخذنا الأسلوب فقط في الحسبان يمكننا القول بأنه يعود إلى ما قبل القرن الرابع بعد الميلاد.

شكل رقم.1 الصورة (a) صيد الاسود ،الصورة (b) صيد الغزلان، الصورة (c) ضاربي الطراند ،الصورة (d) مشهد للمرعى

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

حاول كثير من الباحثين وصف التفاصيل الغامضة للرسومات بطرق مختلفة. ويتفقون عموما على أن الرسمة الأولى (**a**)تمثل صيد الأسود ويظهر فيها أحد الأسود وقد نهض في وجوه مهاجميه من الصيادين الذين كانو يمتطون الخيول بينما يظهر أسد آخر ملقى على الأرض ميتًا. الرسمة الثانية (**b**) تظهر صيد الغزلان ويظهر فيها الصيادون وهم يمتطون صهوات الجياد كما تظهر فيها أيضًا رسومات لمباراة مصارعة. أما الرسمة الثالثة **(c)** فقد تباينت الآراء حول فهمها. فعلى سبيل المثال اعتبرت بيرنيه (1986) Pirenne هذه الرسمة تصويرًا لمشهد انطلاقة الصيادين حيث رأت أن ما يظهر في الرسمة من أشكال دائرية على امتداد المشهد الذي يمشي فيه تسعة من الصيادين ما هي إلا دوائر لسياج حلبة تعود في تاريخها إلى أيام الأشوريين حيث كانت الطرائد تساق إلى منطقة مغلقة مسيجة تمهيدًا لقتلها على أيدي صياد قوي أي أن المشهد تصوير لضرب الطرائد تمهيدًا لاصطيادها.

الرسمة الرابعة **(d)** تظهر شكلًا شبيهًا بالإنسان في مكان للرعي. يثير هذا الشكل تساؤلات وجدلًا لا حد لهما. يتساءل المرء فيما إذا كان هذا الشكل بغطاء الرأس ذي القرون، إنسان؟ أو إله؟ هل هو يمثل الروح الحارسة للطرائد؟ هل يمثل صيادًا متنكراً يحاول الاقتراب من الطرائد؟ هل هو لصياد منتصر يلاعب غنيمته؟ من الواضح أن الحاجة ماسة جدًا لفحص وتدقيق أعمق لهذه الرسومات المنحوتة لإيضاح تفاصيلها أكثر وتنقية فهمنا لها في حال سمحت الظروف بذلك قريبًا. ومن حسن الحظ أنه لم يعلن عن فقدان هذه المنحوتات الحجرية على الرغم من التقارير التي تتحدث عن عمليات نهب واسعة طالت المتاحف في عدن والمكلا.

إن تاريخ هذه النقوش الحجرية ليس الاهتمام الاساسي لهذه الدراسة ولكن التاريخ العام لها وطبيعتها الأجنبية هي موضوع الدراسة الرئيسي. فيما يتعلق بالشكل العام لهذه الرسومات فلها شكل شبه المنحرف (ضلعاه العلوي والأسفل متوازيان بينما ضلعاه الجانبيان غير متوازيين) فلا يوجد شبيه بيزنطي مطابق لها تماما.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

دو(1983) Do اعتبره شكلًا مكعبًا من تاج عمود بيزنطي. جروهمان (1963) Grohmann اعتبره مشابهًا للأشكال التي توجد بتدمر وبعلبك ولربما يمكن القول إن فيه شبهًا من شكل أعمدة فارس، انظر قلعة اليزدجر (كيل 1988). لا توجد دلائل توحي بأن هذا العمود الذي يحوي الرسومات ذات الشكل شبه المنحرف كانت له قاعدة دائرية مما يجعله مختلفًا تمامًا عن تلك الأشكال التي شرحها كوتزشيه (1936) Kautzsch واعتبرها من الفن البربري. من الأهمية بمكان اعتبار شكل هذا العمود مشابها لأشكال الأعمدة الإسلامية الموجودة في فلسطين التي تعود إلى بدايات القرن الثامن (انظر كريسويل (1969) Creswell).

أما فيما يتعلق برسومات مشاهد الصيد فيكفي الإشارة هنا إلى أنها تشبه رسومات فسيفسائية وجدت في انطاكية والقُسْطَنْطَينَيَة تعود في تاريخها إلى ما قبل 550م. وباختصار يمكننا القول إنه وبالرغم من أن شكل العمود عمومًا شرق أوسطي إلا أن الرسومات التي به قد نحتت بأسلوب وطريقة بيزنطية.

إن النكهة والأسلوب البيزنطي يبدو واضحًا جليًا على قطع العتب أو (العارضة المرتكزة على العمود). هذا النحت الخطي البارز أو النافر كان قديمًا جزءًا من إطار الباب وهو أيضًا بدوره يؤكد الأسلوب البيزنطي لأن المعماريين الفرس كانوا يفضلون النقوش والرسومات التي تغطي الاسطح كاملة فتصير نقوشهم شبيهة بورق الجدران ولا يفضلون حصرها على حواف الفتحات والأبواب. القطع التي تم الحصول عليها تحمل رسومات لولبية لأوراق العنب. هناك شبه ليس بالكبير بين هذه الزخرفة الملولبة والزخرفة الخشبية التي ظهرت في الاسكندرية في القرنين السادس والسابع الميلاديين. يطلق مؤرخو فن الرسم على رسومات شجرة العنب الملولبة التي وجدت في حصن العر بالرسم المأهول أو الحي. فالسكان هنا هم الصيادون الذين يطاردون الطرائد خلسة بينما هي تلتقط حبات العنب. من الملاحظ أن أشكال الصيادين وأشجار العنب شوهت بشكل كبير. أشكال الصيادين صغرت بينما أشجار العنب ضخمت. تظهر بوضوح البراعة والحذق في هذه المنحوتات

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

الحضرمية البارزة من حيث الاستخدام الفعال للرسم المنظوري فقد وضع الرسام الغزال خلف جذع شجرة العنب كي تبدو بعيدة بينما وضع الصياد في المقدمة أمام الشجرة.

استخدم معماريو القرن الثامن الأمويون في سوريا الأعمدة ورسموا بساتين العنب الغناء ولهذا فمن الممكن أن يكون هذا العمود والرسومات قد تمت في العصر الأموي. وعلى كل حال فإن أقرب شبه لأشجار العنب المهجنة المرسومة في عمود حصن العر التي نمت من شجرة الأقنثوس [٥] هي تلك الأشجار التي وجدت مرسومة في زخارف كنيسة القديس يوحنا في القسطنطينية التي يعود تاريخها إلى أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس (داوفين Dauphin, (1987)).

من حيث المكونات العامة والحجم فإن هناك أيضًا شبهًا قويًا بين رسومات حصن العر هذه وبين رسومات الكنيسة الشرقية

٥) الأقنثوس هو نبات شائك من فصيلة الأقنثيات. (المترجم)

لدير الهان جنوب شرق تركيا التي تم بناؤها قبل عام 490 بعد الميلاد. إن ما يثير الانتباه هو التشابه في أسلوب الزخرفة بين هذه الرسومات وتلك التي ظهرت في أواخر القرن الخامس الميلادي وبدايات القرن السادس في الشام (فلسطين وشمال سوريا وجنوب تركيا) وهي بلدان عرفت بتقاليدها العريقة في النقوش الحجرية.

السؤال الذي يطرح نفسه بقوة هنا هو لماذا توجد كل هذه الزخرفة الراقية جدًا في حصن يقبع في وسط الصحاري والقفار؟ إن مفاتيح الإجابة على هذا السؤال اللغز أوردها الباحثون الأوائل وبالتحديد فإن وايسمن (1968) von Wissmann ومن ثم دو (1970) Doe اللذان أشارا إلى بقايا أنظمة تحكم مائي في المناطق المحيطة بالحصن مؤكدين بذلك أن المنطقة كانت مستوطنة زراعية رائعة وليس مجرد قلعة فقط.

لقد أتيت أنا وزميلي إنجريد هيهمير Ingrid Hehmeyer هذه السنة لإعادة فحص ودراسة هذه الخائص الفريدة ومحاولة فهم ما هو خلف بنايات الحصن بشكل أعمق. في زيارتي الأولى شاهدت

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

الخصائص التي وصفها وايسمن ودو وسيرجينت ولكن في زيارتي الثانية التي قمت بها في مارس 1994 كنت أكثر حظًا فقد شاهدت أجزاء من حجرة مقطوعة في وسط حفرة تم حفرها في أحد أنظمة التحكم المائي. تظهر تلك الحجرة بوضوح بأنها بوابة تحكم لقناة مائية (انظر الصورة 7 أعلى والصورة 7 أسفل). إن هذا لدليل قاطع بأن تلك الأحجار كانت جزءًا من نظام ري.

المفاجأة الكبرى هي أننا وجدنا أن الأماكن المجاورة لحصن العر ما هي إلا قنوات مائية (انظر الصورة 7 أسفل) وعلى امتداد خمسة كيلومتر غربًا توجد بقايا طبقات متآكلة من ترسب الطمي تراكمت عبر قرون من عمليات الري. هذا كله يجعلنا نواجه الحقيقة التي لا مناص منها ألا وهي أن هذه المنطقة كان لها نظام ري مزدهر ومتطور. وفقا لشروط التفسيرات التاريخية لا توجد حاجة لاعتبار حصن العر قلعة معزولة في منطقة حدودية كما اعتقدت أنا شخصيًا عندما زرته للمرة الأولى فقد تساءلت فيما إذا كان هذا الحصن يمثل الحد الشرقي لحضرموت بوصفه قلعة محصنة لصد أي اعتداء

فارسي محتمل. وبالمقابل كنت أعتقد بإمكانية أن يكون هذا الحصن قد تم بناؤه من قبل عميل غير معروف للفرس كموقعًا متقدمًا يخدم المحاولات الساسانية للسيطرة على اليمن. لكن تبين خطأ هذين الاعتقادين. إن حصن العر هو مركز رئيسي قائم بذاته وله منطقته الخاصة به وما كان له أن يزدهر إلا عندما توفرت له المصادر الكافية للحفاظ على نظام ريه. هذا الأمر يظهر بوضوح من خلال عمليات التصحر التي شهدتها المنطقة لاحقًا عندما تكسرت قنوات الري.

خمن سيرجينت (1988) Serjeant بأن عمليات التآكل والتعرية هذه قد بدأت بعد الفتح الاسلامي مؤكدًا احتمال إفراغ المنطقة من السكان ولكنه أشار إلى إعادة توطن للناس في تلك المنطقة في الفترة ما بين القرن 12 والقرن 16. أشار سميث (1988) Smith إلى أن المحاصيل هلكت وانتشرت المجاعة في حضرموت في عام 1278 مما دفع بالناس إلى بيع قلاعهم وحصونهم لحاكم مدينة ظفار مقابل حصولهم على المساعدات ولكنهم تراجعوا لاحقًا بعد أن تلقوا تشجيعًا من الدولة الرسولية ثم قام

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

الرسوليون بعد ذلك بالتفاف حول منطقة حصن العر في طريقهم إلى ظفار عام 1278 (انظر سميث (1988) Smith).

إذًا من كان يتحكم في هذه المنطقة وحافظ على أنظمة الري فيها التي لا تزال بقاياها ماثلة على سطح الأرض؟ النتائج الأثرية تؤكد بأن الجزء الأساسي من الحصن قد بني في وقت ما من العام 100م. أما الأعمال الزخرفية ذات الصبغة الأجنبية لذلك الحصن فقد تمت حوالي عام 500م. إن الأثرياء الذين جلبوا هذه الزخرفة الشرقية ذات المنشأ الشامي إلى حضرموت بعد العام 500 م مباشرة لربما هم أفراد قبيلة كندة. فمن المعروف أن بني عقيل المرار أحد بطون كندة قد عملوا مرتزقةً في المقاطعات الشرقية التابعة للإمبراطورية البيزنطية خاصة سوريا. أحدهم كان يسمى الحارث بن عمرو عمل مع الساسانيين والبيزنطيين أثناء المواجهات التي دارت بينهم في الفترة التي سبقت توقيع الاتفاقية بين الطرفين عام 502م (كوار Kawar, 1960). أشار أولیندر(1927) Olinder إلى أن تسلسل الأحداث التاريخية لحياة الحارث لم يحدد بدقة إلا أنه قبل وفاته في

عام 528م قاد حملة ضد البيزنطيين وأطاح بملك الحيرة اللخمي أثناء سنوات الاضطراب التي رافقت الثورة المزدكية[٦] في ايران ليتم بعد ذلك تعيينه قائدًا عسكريًا في فلسطين ثم دخل في صراعات هناك مع السلطات ليقتل بعد ذلك بموافقة بل ولربما بتشجيع من بيزنطة (شهد Shahid, 1986) ثم عاد الكنديون إلى أرض أجدادهم حضرموت (روثستين Rothstein 1899) .

أما المجموعة الأخرى من كندة التي استوطنت حضرموت بعد أن سيطرت عليها بالقوة عام 600م مكونة ارتباطات سياسية فنية وتاريخية مع سوريا فلم تكن من مجموعة ابن عقيل التي أجمع المؤرخون على انقسامها إلى جماعات متناحرة بعد موت الحارث مما أدى إلى ضياع تأثيرهم ونفوذهم في الشام البيزنطي (أولليندر Olinder, 1927) فلم يكن باستطاعة هؤلاء بناء حصن كحصن العر لافتقارهم للمصادر.

٦) المزدكية عقيدة تنسب إلى مزدك بن موبذان (٤٨٧-٥٣١م) الذي ادعى النبوة ودعا للإباحية في زمن الملك قباذ بن فيروز والد أنوشروان. (المترجم).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

إن بطن كندة التي وطدت نظام حكم بالقوة في حضرموت حوالي عام 570م كانوا من بني عمرو بن معاوية (المدعج، 1988) ولم تكن لهم ارتباطات بيزنطية أو فارسية تجعلنا نجد تفسيرًا للأعمال الفنية في ذلك الحصن. لذا يجب علينا الانتباه لما قاله شهد Shahid, (1986) من وجود مجموعات أخرى من قبيلة كندة بالشمال إضافة إلى بني عقيل حيث كانوا تارة يقاتلون نيابة عن الحميريين وتارة يقاتلون ضدهم.

من الواضح جدا أن حصن العر كان تحت اشراف وعناية أحد بطون كندة التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى الشام والتي لا بد أنها عادت مرة أخرى إلى الجنوب العربي في القرن السادس الميلادي.

هناك أمر آخر يتعلق بملوك سبأ فهناك جدل واسع حول الفترة الزمنية التي أمضاها المدعي بالعرش اليمني والمدعوم من قبل الأحباش الملك سميفع[٧] في قانا قبل رحيله إلى العاصمة الحميرية ظفار لتولي

٧) سميفع أشوع: هو آخر ملوك حمير وقد أصبح ملكاً على اليمن بعد وفاة الملك يوسف أسأر يثأر وكان يشير إلى نفسه بالنقوش بأنه "ملك سبأ". (المترجم)

العرش في عشرينيات القرن الخامس. حاول بيستون Beeston (1954) أن يجد تفسيرًا للفترة الزمنية الطويلة التي أمضاها ذلك الملك في قانا معللًا ذلك بأن الملك زار قانا مرتين مرة بوصفه ملكًا هاربًا وأخرى بوصفه منتصرًا كما أشار الى عدم تفسير تواريخ بروكوبيوس[٨] ومقولاته حرفيًا ولكنه عاد واتفق مع بروكوبيوس حين أرجع سبب تأخر الملك بقانا إلى أن حضرموت حينها كانت تمثل خطرًا على الحملة المدعومة من الحبشة شبيهًا تمامًا بالخطر الذي مثلته المقاومة الحميرية في عمق أراضي الدولة نفسها، فقد أشار سميث (Smith 1954) إلى أنه حين بدأ أبرهة حملته المضادة استطاع إخضاع الجزء الغربي من حضرموت ولكن المقاومة في الجزء الشرقي من حضرموت فاقت كل التوقعات. لم يتم التعرف على المجموعات التي كانت منخرطة في المقاومة التي شبت في الجزء الشرقي من حضرموت ويرى سميث أن إحدى هذه الفصائل أو المجموعات المقاومة كانت تسمى كيدار مرجحًا أن تكون واحدة من بطون كنده.

٨) بروكوبيوس القيسراني (٥٠٠م-٥٦٠م) مؤرخ وعالم بارز من فلسطين. (المترجم)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

لقد وجدت في شرق حضرموت قوة كبيرة جدًا ولكن لم يتم التعرف عليها بعد ويرجح أن يكون أحد بطون كندة هو من مثل تلك القوة. لكن لا نستطيع حصر الأمر بهذا الشكل على كندة فقط فحصن العر كان يقع في منطقة زراعية خصبة وغنية جدًا ولم تكن أبدًا منطقة صحراوية كما تبدو الأن كما أن الجودة المعمارية العالية للحصن لدليل قاطع على الغنى والثروة، أما زخارف ذلك الحصن فقد شابهت وضاهت زخارف بدايات القرن السادس التي وجدت في الشام. وكل الأدلة تؤكد بأن رسام ذلك الحصن قد استلهمها من زخارف الشام. سنظل نتساءل فيما إذا كانت لمن سيطر على تلك المنطقة وحصنها المسمى بحصن العر ارتباطات شخصية وثيقة بأرض الشام من خلال العيش والمكوث هناك؟ ومن هم هؤلاء؟ إلى أن يتم تنفيذ برنامج تنقيب أثرى موسع يحسم كل هذه التساؤلات ويجيب عليها.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

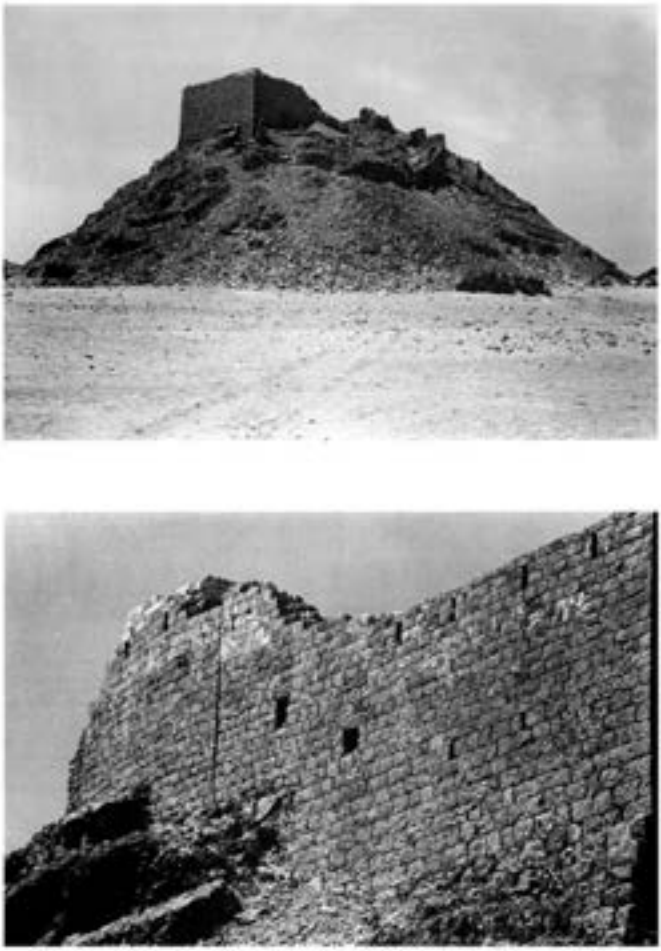

الصورة 6 من أعلى حصن العر كما يرى من الجهة الشرقية من الأسفل مبنى الحصن الرئيسي، الجدار من الجهة الجنوبية. لاحظ الانشقاق العمودي في الجدار.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

الصورة 7 من الأعلى نقش المعبد الأصلي وقد وضع في مكان ثانوي في الجدار الشمالي. من الأسفل قناة لتصريف فائض المياه على مقربة من موقع الحصن

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

الصورة 8 من الأعلى أحواض تحكم بالمياه مصقولة بحجارة الكلس مع بوابة تحكم صخرية ومن الأسفل بقايا ضفاف قناة مائية متجهة إلى الحصن.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

وصف لبعض النقوش التي تم العثور عليها في الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية

(ج. جي هولتون) و(ج. سميث)
J. G. Hulton and J. Smith

مجلة الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وإيرلندا
المجلد الخامس العدد الأول ١٨٣٩ (من صفحة ٩١ إلى صفحة ١٠٢)،
كُتب بتاريخ ١٨ فبراير ١٨٣٧

النقوش المرفقة بهذه الدراسة الوصفية عُثر عليها في محيط بلدة (الديس) وهي بلدة بدوية تبعد ساعات قلائل عن (رأس شرمة) الواقع على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية. وصف السكان المحليون الذين أتوا إلى سفينتنا تلك البلدة بأنها كثيرة السكان وخصبة تكثر فيها زراعة شتى أنواع الخضار والفواكه كما أخبرونا أن المنطقة بها العديد من المباني القديمة التي تنتشر فيها كتابات لا يفهمها العرب مما أثار في نفوسنا الرغبة في معاينة تلك المباني بأنفسنا.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

ولكي يُؤمِّن رحلتنا الاستكشافية هذه، قام الكابتن هنز Captain Haines بإرسال مُرشدنا، وهو من أبناء تلك المنطقة، إلى الشيخ الحاكم طالبًا منه أن يمدنا بأحد جنوده وببعض البدو ليرافقونا. رد الحاكم برسالة طلب فيها منّا مبالغ مالية باهظة وطلب أرزًا ونحاسًا وأشياء أخرى حددها بدقة متناهية مثل أجرة الحماية وغيرها. بالطبع رفضنا هذا ولكن بتأدب شديد. جرت فيما بعد بيننا وبينهم حوارات عديدة، وفي آخر الأمر شعروا بالندم مما أظهروه من جشع حرمهم – بدوره – من بعض الهدايا التي كنا ننوي إحضارها لهم من السفينة بل شعروا بخجل شديد مما بدا منهم بعد أن عرفوا ما حفانا به الآخرون من الكرم وحسن الضيافة منذ أن غادرنا المكلا.

غادرنا شرمة دون أن نعثر على أي شيء يذكر سوى بقايا صهريجين لخزن المياه يشبهان في شكليهما وبنائِهما إلى حد بعيد تلك الصهاريج التي وجدناها في قمة جبل حصن الغراب. كما يبدو أيضًا أن هناك بقايا لقلعة وبلدة صغيرة بالقرب من ذلك الرأس البحري، ولكن

تعاقب السنين قد أتى عليهما تمامًا ولا يكاد يُرى سوى القليل من آثارِهما. في (القسيره) كُنَّا أكثر حظًا، فبالرغم من بُعد المسافة التي قطعناها، فإن الحصول على معلومات حقيقية عن منطقة واعدة أثريًا وربما لا تسمح الظروف بزيارتها مرة أخرى، يُعد أمرًا مثيرًا للاهتمام من وجهة النظر الأثرية.

بعد تلقينا الموافقة من الكابتن (هنز) تحركت أنا و(السيد سميث) من منطقة (القسيرة) في رحلة مملة امتدت حوالي خمسة عشر ميلاً، مارِّين بمناطق ريفية سهلية جرداء. توقفنا الساعة العاشرة مساء لنقضي ليلتنا تحت بقايا جدران قلعة قديمة، وفي صباح اليوم الثاني انطلقنا لنبدأ بحثنا عن الآثار. لسوء الحظ لم يكن لدى البدو المرافقين لنا أية معلومات عن الآثار ولا الكتابات النقشية التي أُخبِرنا عنها حين كنا في السفينة، ولكن تذكّرنا اسم أحد الذين أتوا إلى السفينة طالبًا مساعدة طبية وأخبرناهم - أي مرافقينا - عن اسم موقع سكنه، ولحسن حظنا أن موقع سكنه كما علمنا منهم، ليس بالبعيد من المكان الذي نحن به. لقد وجدنا ذلك الرجل على

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

قدر عالٍ من الأدب والامتنان فقادنا إلى كل مكان يعتقد أنه ذو شأن بالنسبة لنا. لكن معرفة هذا الرجل، كمعرفة غيره من إخوته العرب، مقتصرة على مشاهداته وما تناهى إلى سمعه من أحاديث، ومثلهم أيضاً يفسّر ما يراه من حصون وقلاع ونقوش وصهاريج مياه بطريقة بسيطة جدًا معتبرًا هذه الآثار شواهد على عظمة وتفوق الفرنجة الذين يسود الاعتقاد هنا أنهم هم من بناها كما يسود أيضًا ذعر وخوف خرافي منهم.

في الواقع لم نستطع الحصول على أية معلومات منهم سوى أسماء الأماكن. توجد هناك قلعة تسمى (حصن المعيملة). إن حجم وتصميم ذلك الحصن وطبيعة المواد التي استُخدِمت في بنائِه لا توحي بأنه كان حصنًا منيعًا قادرًا على الصمود وهو الآن منهارٌ تمامًا. بعد ذلك ارتحلنا إلى منطقة مجاورة تسمى (حمم) ووصلنا أخيرًا إلى جبل (العليدمة)، ذلك المكان الذي قيل لنا: إن به نقوشًا. عندما صعدنا إلى منتصف الجبل بارتفاع حوالي ٢٠٠ قدم، وجدنا كهفًا فسيحًا وعلى جدرانه آثار وبقايا كتابات كُتب معظمها باللون الأحمر،

وكُتِب بعضها باللون الأسود، لكن السنين قد فعلت بها الأفاعيل، وكثيرٌ منها يكاد يكون قد انطمس ودرس وبعضها لاتزال صامدةً عصيةً على الدهر فبمجرد رش الماء عليها وإزالة الأتربة المتراكمة فوقها تظهر ألوانها زاهية وكأنها كُتبت للتو. لقد أدهشنا كثيرًا ذلك التشابه بين هذه النقوش وتلك التي اكتشفناها في حصن الغراب، ولكن بمقارنة أكثر دقة يتبين أن الأحرف عمومًا في كل النقوش متشابهة غير أنه توجد أحرف قليلة في هذه النقوش الأخيرة لا مقابل ولا شبيه لها في نقوش حصن الغراب، فالأسلوب الذي استُخدِم في كتابة هذه النقوش موغل في القدم ولم يعد له وجود أبدًا على الأقل في هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية مما يُثير كثيرًا من التساؤلات والتخمينات عن الأشخاص الذين يمكن أن يكونوا هم من قاموا بكتابتها.

إن خصائص وصفات هذه النقوش تبدو أقرب إلى خصائص النقوش الحبشية أكثر من قربها إلى أية نقوش أخرى معروفة في أيامنا هذه. وبالعودة إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية، نجد أنه قبل

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

احتلال الفرس لليمن بقيادة أنوشيروان (كسرى الأول)، كانت هذه البلاد الخصبة تحت سيطرة الأحباش. وقد فتنت هذه الأرض بجمالها الأخاذ الكثير من الأحباش فاستوطنوها واستقروا بها. وبالاعتماد على هذه الحقائق، يمكننا الاعتقاد بأن هذه النقوش والآثار تعود لهؤلاء الأحباش، خصوصًا أننا نعلم بأن الأحباش تجار مغامرون يمتلكون من المواهب والمهارات ما يمكنهم من بناء حصون بتصاميم رائعة كتلك التي في حصن الغراب والتي لا يستطيع السكان المحليون في هذه المناطق أن يصمموا أو ينجزوا مثلها. ولكن يُفترَض علينا أن نلزم الصمت تجاه كل هذه التساؤلات ونترك الإجابة عنها لذوي الاختصاص والمؤهلات ليقولوا كلمتهم الفصل فيها. عليّ أن أشير هنا إلى التشابه في الأسماء بين حصن غراب وبيت غراب فالاسم الأول يشير لقلعة، في حين يشير الأخير لقبيلة تعد من أقوى قبائل الحموم ومن أكثرها عددًا.

عندما سألنا أحد أفراد تلك القبيلة عن أصل اسمهم هذا، قال: إن أجداده أتوا من حصن غراب وإنه لا يعرف ذلك المكان ولكن

سمع عنه. وإذا صحت هذه الأقاويل، يمكننا الاستنتاج بأن هذه القبيلة الموجودة هنا هي فرع من قبيلة أخرى هناك وربما جذبت خصوبة هذه الأرض، مقارنة بأراضي حصن الغراب، هذا الفرع من تلك القبيلة. الأرض المحيطة بمنطقة (حمم) قاحلة والجبال جرداء ولكن ما إن تدخل إلى الأودية، حتى يتغير المشهد فجأة وتسعد العين برؤية مناظر خلابة من الخضرة صنعها الإنسان بالكد والزراعة، ففي كل جوانب الوادي يمكن مشاهدة بساتين مثمرة من أشجار النخيل وأحيانًا تجد مساحات واسعة جدًا من الأرض مزروعة بالبصل والثوم والبطاطس الحلوة وأنواع مختلفة من البطيخ والتوت، أما أشجار النبق وأشجار النارجيل فثمارها وفيرة هنا.

بعد بحثنا عن أشياء أخرى قد تكون مثيرة للفضول، غادرنا بلدة (حمم) منتصف النهار وبدلًا من أن نعود مباشرة إلى (القسيره)، سلكنا طريقًا قريبًا من سلسلة جبال (عسد) البعيدة وبعد عناء كبير ومجازفة وصلنا أخيراً إلى (قلعة أو حصن معبر القديم) في حوالي الساعة الثانية عشرة مساء.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

إن ما جعلنا نغير خط سير رحلتنا إلى هذا الاتجاه ما قاله لنا السكان المحليون عن طبيعة هذه القلعة فقد قِيل لنا: إنها بُنيت من أحجار منحوتة وهي في حالة جيدة، إضافة إلى ذلك الأمل القديم الذي ما فتئ يُراودُنا بأن نجد نقوشًا هناك. أثناء قيامنا بالبحث عن النقوش أُصِبنا بخيبة أمل، فلم نستطع أن نعرف من الناس أين موقع تلك النقوش ولم نعلم منهم فيما إذا كانت فعلًا موجودة أم لا. ولكن حماستنا في البحث عن هذه الآثار لم تخفت؛ لمعرفتنا أن الكثير من العرب لا يستطيعون التعرف على هذه النقوش حتى وإن رأوها من قبل لكونها مختلفة عن الكتابة العربية الحديثة التي لا يعرفون كتابة أخرى سواها. وهذا ما حصل فعلًا في بلدة (حمم)، عندما اكتشفنا بالصدفة بعض النقوش المنحوتة في صخرة ملقاة على جانب الطريق وتوقفنا لنسخ تلك النقوش، فإذا بالبدو يسألوننا باندهاش شديد ماذا كُنّا نكتب من تلك الصخرة وحين أخبرناهم بأننا ننسخ ما عليها من كتابات نقشيه لم يصدقونا. وبعد أن نسخنا تلك النقوش، أخذني أحدهم ليُريني صخرة أخرى، قال: إن بها

بعض الكتابات ولكن تبين لي أنه لا توجد في هذه الصخرة أية كتابة وإنما علامات وخطوط طبيعية في سطحها. وحين أخبرته بهذا ضحك، وقال إنه لا يعلم عن هذه الكتابات التي نبحث عنها.

حصن (معبر) قوي جدًا وبُني من الحجارة والطين على نحو جيد، رغم أن تلك الحجارة لم تكن منحوتة كما قيل لنا. لا توجد في هذا الحصن فتحات للمدافع وإنما به فتحات لبنادق المشاة القديمة وبنادق الفتيل (بوفتيلة). تصاميم بناء الحصن تصاميم دفاعية واختير موقعه على نحو رائع ومثير للإعجاب، فقد بُني على ربوة مرتفعة تجعله متحكمًا تمامًا في ثلاثة أودية خصيبة وتنتشر فيها بساتين نخيل كثيفة جدًا. يُقال إن هذا الحصن هو أحد الحصون التي بُنيت لحماية طريق التجارة إلى حضرموت، إذ توجد حصون كثيرة مشابهة في بنائِها وتصاميمها لهذا الحصن، وتلك الطريق لاتزال سالكة إلى الآن وتمر من تحت الجدران المهدمة لتلك الحصون المنتصبة على رؤوس القمم والجبال. إن المسافة من هذا المكان إلى (قسره) حوالي خمسة أو ستة أميال.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

خلال قيامنا بإجراء المسح للساحل، سمعنا أيضًا أن هناك نقوشًا أخرى على بعد أربعين ميلًا إلى الشرق من (حمم) فانطلقنا أنا و(الملازم ساندیرز) Lieutenant Sanders و(السيد سميث) بعد أخذ الموافقة من الكابتن هنز إلى ذلك المكان لنسخ هذه النقوش، وبعد أن قمنا بدراسة بقايا آثار حصن (المصينعة) الواقع بالقرب من الساحل على رابية صغيرة منعزلة. لم يتبقَ من ذلك الحصن غير جدران الأساسات التي بُنيت من حجارة منحوتة أُلصِقت ببعضها جيدًا بوساطة الطين. كل ما يحيط بالحصن يشهد بأنه موغل في القدم. بُني هذا الحصن للدفاع عن قرية يمكن الآن الاستدلال على وجودها هنا بالنظر إلى طبيعة الأرض، فالتربة هنا لينة وسوداء بها أجزاء من قطع زجاجية وأخرى نحاسية منثورة هنا وهناك، وهذه مؤشرات توجد في معظم المدن القديمة المنتشرة على سواحل شبه الجزيرة العربية.

بعد أن مشينا مسافة اثني عشر ميلًا وصلنا إلى (نخل ميوك) وهي بستان صغير من أشجار النخيل يقع في سفح سلسلة جبلية شاهقة شرق وادي (شخاوي). من هنا بدأنا في الصعود وبعد أن وصلنا إلى ارتفاع ١٥٠٠ قدم، وجدنا كهفًا واسعًا وفي أجزاء من هذا الكهف

وجدنا نقوشًا كُتبت بنفس اللون الأحمر كتلك التي وجدناها في (حمم). قيل لنا: إنه توجد بئر أسفل الكهف مباشرة، ولكن تبين لنا أنه صهريج لحفظ الماء وليس بئرًا، وهذا ما يؤكده موقع ذلك الصهريج وعدم احتوائه على مياه وهو الآن ممتلئ بالأحجار والنفايات.

أما الأراضي المجاورة لهذا المكان فهي قفار جدباء موحشة باستثناء بستان واحد أو بستانين صغيرين من النخيل يطلان من إحدى زوايا الوادي البعيدة. قيل لنا: إنه بعد سقوط الأمطار، ينمو بعض العشب هنا وعلى قلته، إلا أنه يُغري البدو على إحضار قطعانهم إلى هذه التلال، وخلال فترة الرعي هذه يقطنون هذا الكهف والكهوف الأخرى التي يرونها مناسبة لسكنهم.

بعد أن أمضينا ليلتنا في هذا المكان وتحت حماية عدد قليل من البدو المنتمين لقبيلة (المناهيل)، انطلقنا في وقت مبكر من صبيحة اليوم الثاني عائدين وسالكين نفس الطريق الكئيبة الموحشة التي قادتنا إلى ذلك المكان.

* المؤلفان (ج. جي هولتون) و(ج. سميث) هما ضابطان من البحرية الملكية البريطانية، وقد قام الأول بجمع معلومات معجمية عن اللغة الجبّالية، التي يستخدمها سكان جزيرة الحلانية (كوريا موريا) ونشرها عام ١٨٣٦ كأول باحث غربي يشير لهذه اللغة (المترجم).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

النقوش التي عثر عليها في الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

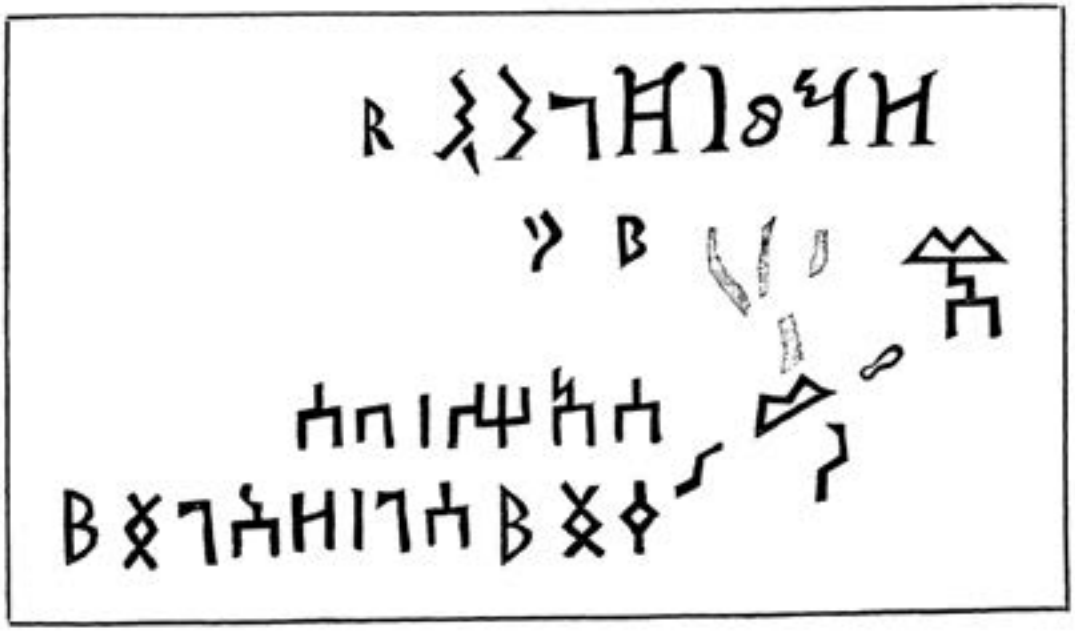

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

أرضٌ بِلا ظِلال

هانس هيلفريتس

(Hans Hilfritz)

ترجمها من اللغة الألمانية إلى اللغة الإنجليزية

كينث كيركننز (Kenneth kirkness)

ترجمة: د. خالد عوض بن مخاشن

نيويورك

روبرت م. ماكبرايد

أرض بلا ظل

حقوق النشر هانز هيلفرتز ١٩٣٦م

طبع في الولايات المتحدة الأمريكية

النسخة الأولى

النسخة الألمانية لهذا الكتاب نشرت في مدينة ليبزج (liepzig)

في كتابين

الأول بعنوان (شيكاغو الصحراء) والثاني بعنوان (أرض بلا ظلال)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

قائمة المحتويات:

- المقدمة.
- الكتاب الأول: شيكاغو الغرب.
- الفصل الأول: زيارة إلى سلطان المكلا.
- الفصل الثاني: تاريخ أرض مجهولة.
- الفصل الثالث: الروح الخيرة والشريرة.
- الفصل الرابع: طرق القوافل العتيقة.
- الفصل الخامس: في إقليم حضرموت.
- الفصل السادس: الموسيقى والرقص في الجنوب العربي.
- الفصل السابع: قصر الجن.
- الفصل الثامن: شيكاغو الصحراء.
- الفصل التاسع: في وادي دوعن.
- الفصل العاشر: في أوساط البدو السلابة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

المقدمة:

تعد الجزيرة العربية إحدى أهم المناطق التي ما تزال مجهولة في هذا العالم، وهذا أمر يثير العجب والاستغراب؛ كونها تقع على مقربة من قارة أوربا، وتمر بمحاذاة شواطئها أكثر الطرق البحرية استخدامًا، وأعظم من هذا كله أن الحضارات القديمة قد نشأت وازدهرت في الأرض العربية. ولذا فإن إماطة اللثام عن الكنوز المخفية لهذه الأرض لا يقل أهمية وتشويقًا عن الاستكشافات في مصر وبابل. هناك عاملان يؤكدان هذه الأهمية ويوضحان إلى حد ما لماذا بقيت شبه الجزيرة العربية أرضًا مجهولة؟

بعد المعارك الطاحنة التي اندلعت بين المسيحية من جهة وبين العالم الإسلامي العربي من جهة أخرى إبان الحروب الصليبية، اختفت شبه الجزيرة العربية من الأفق الأوربي، وغرق مهد الإسلام في بحور النسيان، وتم نسيان الأثر الإيجابي والمهم للثقافة العربية على التطور الروحي للعالم الغربي مع بدايات العصور الوسطى وبالتحديد أثناء حقبة الحرب.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

لقد توقفت الجزيرة العربية نفسها، التي كانت لها مكانة مرموقة في العالم لقرون عدَّة، عن صناعة تاريخ جديد، واختفت من المسرح العالمي وانزوت لتصبح جزءًا بعيدًا مهملًا من الإمبراطورية العثمانية. كما نُسيت أيضًا المدينتان المقدستان (مكة والمدينة). ونادرًا ما كانت تصل أخبار هذه الأرض إلى أوربا. وفي أحسن الأحوال تذكر بعض الصحف -أحيانًا- أن السلطان العثماني العظيم عبدالحميد قد نفى مسئولًا ما بتعيينه في الجزيرة العربية أو أنه تم إرسال بعض الضباط الأتراك إلى اليمن وبخاصة من أولئك الذين تلقوا تدريبات عسكرية في ألمانيا، فيتم إرسالهم إلى ذلك المكان كي يُشفوا من مرض المطالبة بإصلاحات كتلك التي رأوها في أوربا.

لقد أفل نجم الجزيرة العربية وبهتت ألوانها، ولم يعد لها شأن بالأحداث التي تُثير اهتمام مناطق العالم الأخرى. فلم تفلح الأحداث المثيرة، مثل: بناء سكة حديد بغداد في الموصل، أو ما يجري في مصر من أحداث، في لفت انتباه العالم لشبه الجزيرة العربية التي كانت سابقًا تمثل أهمية كبرى للغرب.

أما السبب الثاني وراء عدم استكشاف الجزيرة العربية فيكمن في الصعوبات الجمة التي سوف يواجهها أيُّ مستكشف. بعض هذه الصعوبات يعود للطبيعة الجغرافية الصعبة للجزيرة العربية، فخلف الجبال الساحلية للجزيرة العربية توجد صحارٍ عظيمة وسهول قاحلة جرداء. إن اجتياز هذه الأراضي القاحلة التي غالبًا ما تمتد لمسافة تقدر ما بين أربعمائة إلى خمسمائة ميل يعد أمرًا في غاية الصعوبة ولا يمكن أن يتم من غير تعاون السكان هناك مع من يحاول القيام بتلك الاستكشاف أو في الأقل تقبلهم له.

إن عدم تقبل السكان المحليين للمستكشفين هي العقبة الكأداء. يستطيع الإنسان التغلب على قسوة الطبيعة كما فعل في رحلاته الاستكشافية في المناطق القطبية لكنه يقف عاجزًا أمام قسوة أخيه الإنسان.

إن العداء للأجانب في شبه الجزيرة العربية يمكن إرجاعه إلى سببين: الأول منهما يعود للأخلاقيات الاجتماعية لأمراء الصحراء، ألا وهم البدو. فهم لا يحترمون العهود الأخلاقية إلا تلك التي

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

تعهدوا بها لقبائلهم، فكل من هو خارج رابطة الدم الضيقة فهو عدو بالنسبة لهم، ولذا فإن السلب والعنف ضد أفراد القبائل الأخرى ليس فقط مسموحًا به وإنما أيضًا يعد قاعدة راسخة يقرها الجميع ومبدأ أساسيًا في معركة البقاء.

إن قانون الصحراء هذا ينطبق على الأجنبي أيضًا ويعاني منه أكثر من غيره فليس له قبيلة توفر له الحماية.

كما أن كره الإنسان العربي للأجنبي له سبب آخر وهو سبب ديني، ونتيجة لكل هذه الأسباب فإن من استطاع التغلغل في أعماق الجزيرة العربية هم قلة من المستكشفين الأوائل الشجعان، لكن تبقى مئات الآلاف من الأميال المربعة في شبه الجزيرة العربية غير مستكشفة إلى يومنا هذا.

لكن بدأت تظهر بعض التعبيرات في شبه الجزيرة العربية ببداية عصر جديد في تاريخ العالم والذي بدأ باغتيال الدوق في سراييفو، فللمرة الأولى منذ الحروب الصليبية تتقاتل الجيوش الأوربية في ساحات الأرض العربية وميادينها، وصارت على اتصال بالمشرق

العربي، والأهم من هذا أن الجزيرة العربية فجأة عادت لتحتل مكانة في التاريخ العالمي. من جحيم الحرب العالمية نهضت الجزيرة العربية تاركة آلامها وأحزانها لتدخل في مرحلة من التطور لا نهاية منظورة لها. لقد انكسر حاجز الصمت المطبق عليها وشرعت الصحف والدوريات في العالم تكتب تقارير متكاملة وعلى نحو متنظم عن أهمية الجزيرة العربية.

لقد أصبح من الواضح جدًّا أن هذه النهضة العربية جعلت الشعوب العربية تستعيد قوتها من جديد بعد مدة ليست بالقصيرة من التراخي والخمول.

في نهاية القرن الثالث عشر بدأ يزداد عدد قاطني الصحارى والسهول بعد أن قلت أعدادهم نظرًا للفتوحات التي تمت في عهد الخلفاء الأوائل، وبعد إزاحة النقاب عن هذه البقعة من العالم، وبعد أن استعاد المشرق مكانته، ظهر للعيان أن في المنطقة العربية أناسًا لهم من القوة ما يمكنهم من المطالبة بحقهم في الوجود.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

شهد العالم العربي أيضًا انبعاثًا جديدًا فبعد سقوط الخلافة العثمانية انكفأت تركيا على نفسها، ووجد العرب لأنفسهم متنفسًا وحياة جديدة فأصبح ابن سعود -حاكم وسط الجزيرة- بطلًا جديدًا يُحتذى به. وبينما صار الفصل بين الدين والسياسة السمة السائدة في كثير من مناطق العالم، أصبح ارتباط الدين بالحياة والسياسة في الدول التي تتشكل في الجزيرة العربية قويًّا جدًّا، وصار الدين أكثر قوة من ذي قبل في حياة المجتمع، وأصبح الأساس الذي تبنى عليه الدولة.

يصف هذا الكتاب جنوب الجزيرة العربية التي حباها الله بهبات طبيعية وتاريخية مميزة أنها الأرض التي قيل لنا: إنه أتى منها ملوك الشرق الثلاثة ليحيّوا المسيح عند ولادته، وهي أيضًا الأرض التي حكمت فيها ملكة سبأ. مرت أزمنة عدَّة لم يُعرف إلا القليل عن هذه الأرض. لقد توارت خلف سحب الأساطير والقصص الخرافية حتى ثمانينيات القرن الماضي حين قام الرحالة الألماني إدوارد جلاسر Edward Glaser بزيارة اليمن، الجزء الأساسي

في جنوب الجزيرة العربية، وقام بجمع أعداد كبيرة من النقوش القديمة. حينئذ أدركنا أن قصص الإنجيل الغريبة بنيت على حقائق، وأدركنا أن ممالك قوية قامت هناك، وأن حضارة راقية جدًّا بناها السبئيون وأحفادهم في هذا الجزء من الجزيرة العربية.

تبقى النقوش أهم ما تم اكتشافه حتى الآن، لكن ما زال الظلام يلف الأحداث القديمة في هذا البلد، وفي انتظار من يستطيع تبديده.

إلى يومنا هذا ما تزال اليمن أرضًا مؤصدة أبوابها في وجوه الغرباء. يحكم اليمن حاكم ديني وهو الإمام يحيى، ينحدر في نسبه من أحفاد الرسول. لا يثق إطلاقًا في المسيحيين، ومصمِّم على حماية مملكته من أي تأثير غربي، ويمنع دخول الأجانب للبلد إلا بموافقة منه شخصيًّا حين يرى أن هناك دواعي دبلوماسية أو اقتصادية. الشخص الذي يحظى بموافقة من الإمام بالدخول ليس له كامل الحرية في التحرك إلى أي مكان يريد، فالطريق الذي سيسلكه والمكان الذي سيقصده، يتم تحديده بدقة متناهية، ويبقى ذلك الشخص تحت المراقبة طوال الوقت. فمثلًا يسمح الإمام فقط

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للمهندسين بالتحرك إلى العاصمة صنعاء لكن باقي مناطق المملكة تبقى محرمة على الأجنبي. هناك أجزاء من اليمن لم تستكشف مطلقًا، ويعتقد بأنها تحوي آثارًا تعود لتلك الحضارات القديمة.

تلقى محاولات الإمام الإبقاء على أبواب اليمن مؤصدة ومعزولًا عن الخارج، دعمًا من مجتمع عدائي، يغذي عدوانيته تعصب ديني.

يبقى استكشاف اليمن المجهول وماضيه الغني هدفًا مُغْرِيًا للباحثين والمستكشفين. فالكثير من المحاولات الأولية لاستكشاف اليمن عادت بخُفَّيْ حنين، وتعرض البعض ممن غامروا لإنجاز هذه المهمة لمخاطر جمة.

إن شجاعة هانز هيلفيرتز وإصراره مكَّناه من اختراق كل تلك الحواجز والتغلغل إلى أعماق البلد المحرمة. بدأ هيلفيرتز رحلاته من مصر، ثم زار فلسطين وبلاد الرافدين، والتي فيه تعلم اللغة العربية والعادات العربية، بعد ذلك نجح في نسج علاقات طيبة مع سلطان عربي يحكم منطقة تقع في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية، فمكنته هذه الصداقة من زيارة المكلا الواقعة على شواطئ

المحيط الهندي، ومن المكلا غامر ضيف السلطان هانز هيلفيرتز في الانطلاق تجاه حضرموت، وهي أرض تقع مباشرة خلف الجبال الساحلية، وتمتد إلى حدود بلاد اليمن.

أول ما اكتشفه هيلفيرتز في جنوب الجزيرة العربية هو مدن ناطحات السحاب العتيقة، وهي موضوع الجزء الأول من هذا الكتاب، والذي يحمل عنوان (شيكاغو الصحراء). نجح خلال المدة التي قضاها في ربوع حضرموت في اكتساب خبرات وصداقات مكنته كثيرًا من إنجاز مهامه اللاحقة والأكثر أهمية.

داجوبريت فون ميكوسيش

Dagobert Von Mikusch

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

الكتاب الأول

شيكاغو الصحراء

زيارة سلطان المكلا:

يصف هذا الكتاب إحدى آخر ثقافات العالم المحيّرة للعقول، إنها ثقافة لم تتأثر بالمد الحضاري الغربي المتصاعد. يأخذ هذا الكتاب القارئ إلى أرض أسطورية عجيبة في جنوب شبه جزيرة العرب، تحيط بها صحاري مترامية الأطراف.

هذا الكتاب يدوّن تجارب رحلة تم خلالها زيارة قبائل بدوية شرسة، وسلاطين وأسر عربية نبيلة، وأناس لا يعرف الأمريكيون ولا الأوربيون عنهم إلا القليل، أناس لهم سبل حياة مختلفة تمامًا عن تلك السائدة فيما يسمى بالعالم المتحضر، أناس لهم ثقافة لا تقل ثراء عن ثقافات الهند والشرق الأقصى. نُخطئ إذا تخيلنا أننا قد صرنا نعرف كل أصقاع الأرض، وأنه لم يعد هناك مكان في الأرض في حاجة إلى الاستكشاف سوى قطبي الكرة الأرضية والصحاري

الموحشة غير السالكة، وغابات سيبيريا، وأمريكا الجنوبية. إن الجزيرة العربية، التي هي أكبر من ولاية نيويورك بسبعة وعشرين مرة، بها مئات آلاف الأميال المربعة من الأراضي غير المستكشفة حتى الآن. ما تزال الجزيرة العربية، وبخاصة جنوب الجزيرة العربية والمعروفة تاريخيًّا منذ ما يزيد عن ثلاثة آلاف سنة، مجهولة وغير مستكشفة، أرض مُحرّم دخولها، وتعيش حالة أشبه بتلك التي سادت خلال العصور الوسطى. أرض تعيش حضارة يلفها الغموض تعود إلى عهود سبأ العتيدة.

اكتشفت في الصحاري العظيمة والبعيدة رسومًا لحيوانات نحتت في الصخور، ورأيت تماثيل مهداة إلى إله القمر سين، ولشدة دهشتي اكتشفت أشكالًا قديمة للصليب، لها خصائص الصلبان نفسها التي كثيرًا ما يراها المرء في المشرق. صلبان مشابهة لهذه الصلبان اكتشفت أيضًا في الصحراء الليبية المعزولة، وفي ذلك المكان من شمال إفريقيا حيث يقطن الطوارق أعداء المسيحيين.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

ليست الجزيرة العربية وحدها لغزًا محيرًا بل الناس هناك بحد ذاتهم لغز كبير أيضًا، فهم متشبثون بتراثهم ونمط حياتهم الممتد من الماضي السحيق إلى يومنا هذا، والذي لم يطرأ عليه أي تغيير. ما تزال جمالهم تسلك طرق القوافل التي أبلاها الدهر، والتي سلكها من قبلهم بالتناوب السبئيون، والتجار الرومان والأحباش، وجحافل البدو.

إن أكثر مناطق الجزيرة العربية غموضًا هو جنوبها، فهو صامد في وجه أي تأثير أجنبي، ويقاوم بعناد شديد أي تغلغل أوربي فيه. هذه المقاومة لها ما يبررها سياسيًا، فجنوب الجزيرة العربية ليست أرضًا موحدة، ففيه مملكة وسلطنات ودول عدة صغيرة، دول أجهلها أنا ويجهلها الكثير مثلي.

الجزء الأول من كتابي يتعلق بجزء من هذا البلد يسمى حضرموت، والتي فيها المدن ذات البنايات الشاهقة، إنها شيكاغو الصحراء.

بمحض الصدفة تعرفت إلى السلطان عمر بن عوض القعيطي سلطان إحدى تلك الدول الصغيرة، التي بها مدن تطل على

المحيط الهندي، مثل مدينة المكلا، ومدينة الشحر. لقد كان ذلك في يوليو ١٩٣١م، فقد كنت حينها في برلين في وزارة الخارجية أبحث عن معلومات حول أحوال جنوب الجزيرة العربية، فقيل لي إن سلطان المكلا يقوم في هذه الأثناء بزيارة أوربية، وإنه يمكث لأيام قلائل في فندق أدلون Adlon، قيل لي: "اذهب وقابل السلطان؛ فهو قادر على أن يعطيك معلومات أكثر من ما يمكن أن تحصل عليه مِنَّا".

استقبلني السلطان ورحب بي وأبدى اهتمامًا بما لديَّ من خطط، وقدم لي ولصديقي جان بومورسكي Jan Pomorski دعوة لزيارة دولته. كانت زيارتي للجنوب العربي جيدة منذ انطلاقها. وعلى الرغم من أنه لم يكن لديَّ ترخيص رسمي بعبور مناطق دول الجنوب العربي المستقلة، فإنني كنت أعلم بأن السلطان على اتصال مباشر بحكام تلك الدول، وأنه بمقدوره أن يساعدني.

لقائي الثاني بالسلطان كان في عدن، شبه جزيرة تقع على المحيط الهندي وتتبع الإمبراطورية البريطانية. أبحرنا من عدن إلى المكلا

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

على متن سفينة بخارية صغيرة، يملكها تاجر محترم من الهنود البارسي، يدعى كواسجي دينشاو Cowasjee Dinshaw. يمتلك هذا التاجر الهندي وحده النقل البحري بين عدن وميناء المكلا وميناء الشحر وأرض الصومال والموانئ الصغيرة المنتشرة على امتداد شرق أفريقيا إلى جزيرة زنجبار. بعدن جالية كاملة من التجار الهنود، فكون عدن منطقة حرة، صارت تستهوي التجار والمستثمرين من كل مكان. يعد البعض عدن واحدة من أشد مناطق العالم حرارة، لكني لا أتفق مع هذا الرأي فموانئ البحر الأحمر، حيث الجو المشبع بالرطوبة التي يصعب تحملها، أشد حرارة من عدن، إضافة إلى أن عدن تهب عليها نسمات منعشة تكاد تخلو من الرطوبة والجو فيها صحي ولا تنتشر بها الأوبئة كالملاريا.

عدن كبومبي بها أبراج الصمت وأبراج الموت حيث يترك الهنود البارسي (هنود من أصول فارسية) جثث موتاهم للنسور كي تلتهمها. المسافر إلى الشرق الأقصى، الذي يزور عدن لمدة قصيرة يصعب عليه أن يلاحظ هذه الأبراج. أحد هذه الأبراج تحرسه

كلاب شرسة، ويقع في أعلى الجبل على حافة فوهة البركان، وفي وسط هذه الفوهة تقبع هذه المدينة العربية. عندما يموت أحد الهنود البارسي تُحمل جنازته وتوضع أسفل ذلك الجبل ويُطلق كلبان أحدهما أبيض اللون والآخر أسود، فإذا وصل الكلب الأبيض إلى الجثة قبل الأسود، فإن روح هذا الميت ستذهب إلى السماء. أما إذا سبقه إليها الكلب الأسود، فإن روحه ستذهب إلى مكان آخر.

تحيط بالمدينة الجبال، وبها فجوة تُظهر السماء وتربط بين المدينة وميناؤها الذي يرسو فيه قاربنا الصغير (فيلهو Veho). عند وصولنا إلى الميناء كانت أمتعة السلطان تنقل إلى القارب تحت إشراف أحد خدمه الهنود. تلك الأمتعة كانت في صناديق ورزم وسيارة جديدة. كان المسافرون قد اعتلوا متن المركب وهم مجاميع من العرب، البعض منهم أثرياء جدًّا. لقد كانوا مصدر إعاقة مستمرة لعملية نقل البضائع والأمتعة. يجلسون على سطح القارب، وفي الغرف السفلية وفي أي مكان يجدون فيه فراغًا حاملين أمتعتهم معهم، كانوا كثيرًا ما يطلبون مياه الشرب والنار. سطح المركب المخصص

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للركاب من الدرجة الأولى كان مقسومًا إلى جزأين، تفصلهما قطعة من قماش الشراع. الجزء الأول حجز للسلطان، والثاني كان لنا، أما غرف المركب فلم نرغب بها في ظل هذا الجو المداري الحار. في الواقع شعرنا براحة تامة على سطح المركب؛ فقد كان لدى السلطان أريكة مغطاة بالحرير ونحن لدينا أسرّة سفر.

أتى السلطان إلى القارب باكرًا في صباح الأول من أكتوبر، أما نحن فقد كنّا موجودين بالقارب من الليل، ثم بدأت رحلتنا إلى المكلا المتوقع وصولنا إليها بعد يومين. لقد أبحرنا بمحاذاة السواحل الصخرية لجنوب شبه الجزيرة العربية، ومررنا برأس الكلب (جزيرة تأوي إليها الطيور)، لم أشاهدها قط على كل الخرائط التي اطلعت عليها، بعد ذلك رسا قاربنا قبالة بيوت ونخيل بروم لنصل بعد ذلك إلى المكلا في صبيحة ثالث أيام رحلتنا.

المكلا مدينة تتلألأ بياضًا، مدينة ذات جمال استثنائي، لها قصور لا تعد ولا تحصى، وأبراج شاهقة. تقع هذه المدينة الجميلة على خليج رائع يمتد بمحاذاة الجروف السوداء لجبل القارة. إنها حقًّا بوابة حضرموت.

لقد كان ذلك اليوم يومًا مشهودًا من أيام المكلا، فقد عاد إلى المدينة سلطانها بعد غياب طويل، ونحن الآن في ضيافته. حتى هذه اللحظة ما زلنا على متن المركب الذي يتأهب لإلقاء مرساه في ميناء المكلا المشمس. اقتربت من السفينة هواري زوارق صغيرة ملأى بأشكال مفزعة وهمجية، وأخذوا يتسلقون المركب كالقرود، وبدأوا يحيون السلطان بأصوات عالية مزعجة، وكان السلطان في تلك اللحظة يستقبل أبناءه ووزراءه على الجسر. ثم انتقلنا إلى مركب صغير به محرك وبه الكثير من الخرق والسجاد واتجهنا نحو الساحل. احتشدت جموع غفيرة من الناس على الرصيف، معظمهم من البدو أشباه العراة وسكان المناطق الجبلية، ولهؤلاء الرجال شعر طويل خشن وألوان جلودهم سوداء فهم يشبهون قطاع الطرق. لقد كان الجنود في هذه الأثناء يحاولون إيقافهم وتنظيمهم. يحمل كل رجل من هؤلاء ممن تخطى عمره السادسة عشرة خنجرًا مرصعًا على خصره. أذهلتنا تمامًا المشاهد الأولى من ذلك المنظر المثير واللقاء المفاجئ بتلك الحشود المتوحشة الهمجية لدرجة أننا ترددنا في التقدم تجاههم.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

بدأ حفل الترحيب بالسلطان. فقد كانت هناك فرقة نحاسية تعزف بعض المقطوعات الموسيقية (معظمها معزوفات عسكرية تركية). تتكون الفرقة من موسيقيين يرتدون عمائم حمراء ولباسًا رسميًا باللون الأحمر والأزرق. بعد ذلك قام السلطان بتفقد حرس الشرف، وكان به عدد من الجنود الزنوج الذين ينتمون لمجموعة الجنود العبيد في جيش السلطان، والبالغ عددهم حوالي خمسمائة جندي.

ما يزال امتلاك العبيد وشراؤهم ذكورًا وإناثًا معمولًا به في المناطق الساحلية من شبه الجزيرة العربية، لذا توجد أعداد كبيرة من ذوي الأصول الأفريقية في أوساط سكان المدن الساحلية في اليمن والحجاز. تراقب الدوريات البريطانية البحرية تجار الرقيق، وتُعطي جوائز ثمينة للدوريات التي تضبط السفن التجارية التي تنقل العبيد، ولكن التجار العرب لا يأبهون ولا تعوقهم هذه الإجراءات فهم مستمرون في جلب هذه القطعان السوداء المربحة، ويسلكون بهم طرقًا ملتوية حتى يوصلوهم إلى الساحل بأمان. يفضل العرب الإبحار بالعبيد تجاه السواحل العربية في أوقات اشتداد العواصف البحرية التي تبدأ بنهاية

فصل الخريف وإذا شاهدوا أي مركب تابع للدوريات البحرية، قاموا برمي من على مراكبهم من العبيد إلى البحر تاركين إياهم تحت رحمة حيتان القرش. وفي بعض الأوقات حين يتم القبض على سفينة محملة بالعبيد يكون من المستحيل إعادتهم إلى قبائلهم وقراهم فليس لهؤلاء المساكين أدنى فكرة أو معلومة عن أماكنهم أو قراهم.

أسعار العبيد تتراوح ما بين ١٢٠.٠٠. إلى ٢٠٠.٠٠. ريال نمساوي أو دولار ماريا تريزا. يصل سعر العبد الصومالي والحبشي إلى ١٢٥.٠٠، أما العبد النوبي فهو المفضل في السوق؛ إذ يصل سعره إلى ١٩٥.٠٠.. وبشكل عام فإن العبد يعامل معاملة حسنة؛ حيث يطعم ويكسى مقابل العمل لدى سيده. وفي بعض الحالات وصل العبيد إلى مراكز راقية وحازوا شرفًا عظيمًا، فصار بعضهم مستشارين لأسيادهم ووزراء لدى سلاطينهم وأُعْطُوا سلطة جعلتهم يتأمرون على من هم أحرار.

حفل المكلا يتواصل وها هم الأمراء والسادة والوزراء يحيون السلطان للمرة الثانية، ولكن هذه المرة أمام أنظار الحشود. يحيي

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

سكان الجنوب العربي بعضهم بعضًا بطريقة عجيبة؛ إذ يتقدم أحدهم نحو الآخر وينحنيان ويدنو كل واحد برأسه نحو الآخر ثم يتصافحان ويشم كل واحد منهم يد الآخر على نحو مسموع.

يعود هذا العرف لاعتقاد سائد بأن روائح مقدسة تنبعث من أيادي السادة المنحدرين من نسل الرسول. وحين وصل الموكب الاحتفالي إلى داخل المدينة أطلقت النساء من أسطح المنازل زغاريد بأصوات عالية وحادة شبيهة بتلك الزغاريد التي تسمع في مناسبات الزواج والمناسبات الاحتفالية الأخرى في مناطق شبه الجزيرة العربية كافة. الحشود تحتفل وترحب بسلطانها السلطان عمر بن عوض القعيطي، وها هو السلطان الآن في مقدمة الموكب الاحتفالي البهيج يشق طريقه عبر الأزقة الضيقة متجهًا إلى قصره.

القصر بُني بالقرب من البحر وعلى النمط المعماري الهندي، وقام السلطان بنفسه برسم تصاميم بنائه. صالة استقبال الضيوف مؤثثة بسجاد ثمين، وبها كراسي لجلوس الضيوف على الطريقة الأوربية، ولكن الضيوف يفضلون الجلوس على الأرض بدلًا من

الجلوس على هذه الكراسي. وعلى حصيرة من القش أو خوص النخيل وجدنا جبالًا حقيقية من الأرز واللحم والدجاج والسمك وأقراص الخبز الرهيفة. جلس السلطان في مكانه في وسط الطاولة قبل أن يدخل بقية الضيوف إلى الغرفة ثم دعانا للجلوس في أماكن كبار الضيوف بجانبه وقام هو بنفسه بتوزيع اللحم على أطباق الضيوف. لا توجد سكاكين ولا شوك والأكل يتم باستخدام اليد اليمنى. عليك أن تطور مهارتك في تكوير كرات صغيرة من الأرز الحار جدًّا، وإذا كنت ماهرًا في هذا ربما تنجح من غير أن تحرق أصابعك. لا يُعطى وقت كافٍ للأكل؛ فالعرب معروفون بالتهام كميات هائلة من الطعام في أقصر وقت، وبعد مرور وقت قصير من بداية الأكل نهض السلطان وانتهى وقت الأكل وقام الكل، حينها رمى الخدم -وهم كثر- بأنفسهم على الأرض وأخذوا يفترسون ما بقي من الطعام كالذئاب.

أعطانا السلطان قصرًا كاملًا كبيرًا وجميلًا أبيض كقصور قصص ألف ليلة وليلة، يقع في وسط بستان من أشجار النخيل والموز، وزيادة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

على هذا أعطانا خدمًا وحراسًا، إنه فعلًا سلطان اسم على مسمى لم يتخلَّ عن ضيفه. كان الحراس في بوابة القصر وفي مداخله يرفعون لنا التحية كلما مررنا بالقرب منهم. كان أيضًا يرافقنا الحراس في جولاتنا لأن الناس هناك -عدا السلطان وقلة آخرين- لم يروا أوربيين من قبل وكلَّما شاهدونا في الشوارع أبدوا فضولًا واهتمامًا كبيرين بنا بما قد يتسبب في خلق مواقف محرجة لنا بغير وجود هؤلاء المرافقين.

أمضينا أسبوعًا كاملًا في المدينة نترفه ونذهب إلى الولائم، أما زيارات الأمراء والوزراء والسادة فلم تتوقف. في الجنوب العربي يلقّب رجال الأسر المنحدرة من نسل الرسول بالسادة أو الأشراف، ومن هذه الأسر أسرة السيد الكاف التي تعد أعظم أسرة وأغناها في الجنوب العربي، إنهم الحكام الحقيقيون لحضرموت، لهم استثمارات ومصالح تجارية ضخمة في سنغافورا وجاوة، ولهم قصور ضخمة في المكلا والشحر، ومن تريم عاصمة منطقتهم يحكمون أكبر القبائل البدوية وأهمَّها، فهم وحدهم من يستطيع إدخالنا إلى المناطق الداخلية المعزولة التي يحدونا أمل ضعيف بزيارتها.

إله القمر في العملة الحضرمية

جون ولكر (1952)
JOHN WALKER

مجلة كلية الدراسات الأفريقية والشرقية -جامعة لندن
المجلد 14 العدد 3

في عام 1937 نشرت دراسة عن عملة معدنية جديدة تابعة للجنوب العربي في مجلة العملات النقدية (Numismatic Chronicle). تظهر هذه العملات -التي جلبتها فريا ستارك من وادي ميفعة في حضرموت وللمرة الأولى صوراً لإله القمر الحضرمي سين. لهذه العملة أحجام وأوزان مختلفة غير أنها جميعاً تحتوي على الكتابة نفسها. وعلى الرغم من أن بعض أجزائها قد درست بسبب عامل الزمن فإن الرسم المركب المبني على مقارنة العينات والنماذج كما في

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

الشكل (١) يظهر في وجه إحدى هذه القطع المعدنية رأس رجل غير ملتحٍ تتدلى من أذنيه قلادتان طويلتان. يعود هذا الرأس لإله القمر الحضرمي سين وقد كتب اسمه (إلى اليمين) بالخط الجنوبي العربي، أما الحرف (m) 𐩣 في تلك العملة فيبقى غامضاً، ولربما يمثل الحرف الأول من اسم دار السك لتلك النقود. في الوجه الآخر للقطعة النقدية نفسها (القفا أو الظهر) يظهر نسر واقف فارشاً جناحيه. فهذا الرأس هو الظهور الأول لإله القمر سين في هذه العملة المعدنية لهذا الجزء من العالم.

شكل رقم (1)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

في الجزء الأيسر من الواجهة نفسها (الظهر) يظهر الاسم 𐩱𐩣𐩵 بمعنى شقر *ŠKR* وقد كتب معكوساً كما هو حال كل الكتابات التي وجدت في هذا النوع من العملات، ولربما يعود السبب في ذلك إلى أن هذه العملات قد تم سكها بوساطة قوالب عديدة مختلفة). سيتم الحديث بإسهاب عن هذا الاسم لاحقاً. وعلى يمين هذه الواجهة يظهر الاسم 𐩺𐩣𐩲 يوشا *YŠH* وقد أثارت هذه الكتابة الكثير من التخمينات. لفت انتباهي البروفسور جي ريكمانس (G . Ryckmans) من خلال تواصل شخصي بيننا إلى أسماء عديدة ثلاثية الأحرف لملوك سبئيين مثل شهر هلال يهنعم Sahar Hilal Yuhan'im، ويرى ريكمانس أن ذلك الحرف المبهم بتلك العملة ربما هو الحرف الأول من اسم أحد هؤلاء الملوك، ولكن لم يظهر أو يوثق في حضرموت أي أسماء ملكية ثلاثية كما أشار لهذا ا.ف.ل. بيستون A. F. L. Beeston حديثاً مقترحاً أن تقرأ الأحرف من الأسفل باتجاه الأعلى *HŠY* أي إضافة بادئة سببية h- (هـ-) للفعل تعود لشمر يهرعش *Šmr Yhr'š*

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

الملك السبئي الذي ضم مملكة حضرموت في نهايات القرن الثالث الميلادي، وهذا التاريخ يتوافق تماماً مع التاريخ الذي اقترحته في دراستي للنماذج الأولية من تلك العملة التي نشرت في مجلة العملات النقدية في الصفحة 279 ألا وهو بدايات القرن الثاني بعد الميلاد.

في العام 1939 أحضر السيد ج. دونيكن J. Duncan إلى المتحف البريطاني عينات أخرى من هذه العملة المرتبطة بإله القمر الحضرمي سين، وفي عام 1951 أحضر السيد ت.التونيون T. Altounyan عينات إضافية من نوع هذه العملة من شبوة موقع عاصمة حضرموت القديمة، كما أحضر أيضاً عينات تنتمي لمجموعة أخرى وبكل سخاء قام بتسليمها إلى إدارة العملات والميداليات.

(الشكل 2)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

في وجه بعض من هذه العينات التي لم تنشر من قبل يظهر رأس إله القمر سين (المشع) تارة تظهر الجهة اليمنى من الوجه والرأس، وتارة الجهة اليسرى (انظر الشكل 2)، بينما كتب الحرف الأول من اسم إله القمر سين : 𐩣 أسفل الرأس، وفي ظهر العملة، حيث كان يوجد النسر في تلك العملة التي أحضرتها فريا ستارك، نجد رأس ثور ناظرًا إلى جهة اليمين وقد كتب أعلى الراس 𐩱𐩣𐩲 إضافة إلى الطُرَّة (1) 𐩣 أمام رأس الثور.

توجد مجموعة أخرى من العملة المعدنية تشبه بشكل كبير العينة المذكورة أعلاه (انظر الشكل 3).

وقد طبع بوجهِ إله القمر بينما يظهر في ظهرها رأس ثور مقابل (رسم من الامام)، وقد كتبت فيها الأحرف باتجاه الأسفل من الجهة اليمنى. ولسوء الحظ لا يمكننا التأكد فيما إذا كانت هناك كتابة أخرى في الجهة اليسرى نظراً لما لحق بتلك العملة من تآكل وتلف.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

(شكل 3)

كما توجد مجموعة أخرى لا يوجد لها وجه. فبدلاً من صورة إله القمر التي عادة ما تظهر في وجه العملة نجد الكتابة 𐩣𐩫𐩵 *SKR* وفي ظهر تلك العملة أعلى رأس الثور كتب 𐩮𐩬𐩣 *SIN* (انظر الشكل 4).

(شكل 4)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

توجد مجموعة أخرى (انظر الشكل 5) لها وجه يشبه وجوه العملة الموضحة في الشكل (4)، ولكن في ظهرها يوجد رأس الثور (المقابل)، تماماً مثل العملة الموضحة في الشكل (3)، ولكن بها كتابة مختلفة فقد كتبت فيها الأحرف الثلاثة لاسم إله القمر سين SIN مرتبة على هذا النحو: الحرف الأول في أعلى العملة والحرف الثاني على يمينها بينما الثالث في يسارها.

(شكل 5)

من الملاحظ أن الاسمين SIN (سين) و $ŠKR$ (شقر) استخدما على نحو تبادلي في كل مجموعة من مجموعات هذه العملة المعدنية، فعندما يظهر أحد هذين الاسمين في وجه إحدى هذه العملات، يظهر الآخر في ظهرها.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

في تقديري أن $\check{S}KR$ (شقر) هو اسم جديد لإله القمر الحضرمي. تحدث السيد بيستون Beeston في دراسته المذكورة عن أهمية اللفظة $\check{S}KR$ وتتبع أصلها وتاريخها معتبرًا أياها صفة من صفات إله القمر سين وأنها ترجع إلى جذر يعني (الحق أو الصواب).

إضافة إلى الأدلة الموجودة في هذه العملة والمذكورة آنفاً هناك أدلة واستنتاجات أخرى تؤكد ما ذهبت إليه في أن الاسم شقر ما هو إلا الاسم الجديد لإله القمر. فالكلمة $\check{S}KR$ (شقر) تعني عموماً (السقف) أو الجزء الأعلى من البناية (انظر كي. كونتي روسيني K. Conti Rossini). إن هذه اللفظة تظهر باستمرار في العبارة 𐩣𐩲𐩥𐩱𐩬𐩵𐩲𐩨𐩱𐩣 بمعنى (من أساسها إلى سقفها). إذاً في اعتقادي أن هذه العملة المعدنية تقدم لنا تفسيراً عن سبب تسمية هذا الجزء من البناية (شقر). فإذا صح فهمي وتفسيري لما كتب على هذه العملة المعدنية، فإن شقر تعني إله القمر في حضرموت لأنه في تلك الأزمنة كانت الناس تضع ما يمثل إله القمر على أسقف المعابد والبنايات (2). هذا الأمر يؤكده هذا اللوح من المرمر الذي

تم جلبه من أرض اليمن ويوجد الآن في متحف عشقي صارك Eski Sark Museum في أسطنبول (الشكل 6)، فهو الجزء العلوي من أحد المعابد السبئية، تظهر بوضوح تام في سقف المعبد هذا قرون ثور ناتئة من أحد أبراجه وتمثل إله القمر.

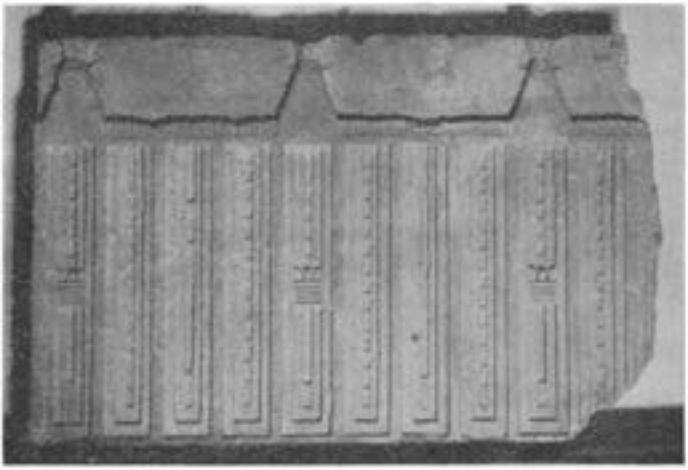

(شكل 6)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

هناك دليل توضيحي آخر وثيق الصلة بهذا الموضوع وهو الميازيب الناتئة من جوانب الأسطح على صورة رؤوس ثيران التي أخذت من سطح أحد المعابد في حجة التي أشار إليها سي رائجنز C. Rathjens و انش. في. وايسمن H. v. Wissmann's عام 1932 في الصفحة 55 من (عصور ما قبل الإسلام).

يبدو لي أن هذه الأشياء كلها تمثل $\check{S}KR$ (شقر) إله القمر ومع تقادم الزمن صار الاسم يطلق على هذه الأسطح حيث كانت تعرض تماثيل ذلك الإله.

1- المونوجرام أو نُعُوت الحَاكِم وألقابُه؛ علامة ترمز إلى شخص ما وتتألف من أحرف اسمه الأولى (المترجم)

2- من الجدير بالذكر أن هذه العادة لا تزال موجودة في حضرموت إلى عصرنا هذا رغم أن الغاية الأصلية من وراثها قد نسيت واندثرت، فقد نشرت فريا ستارك (1938) في كتابها البوابات الجنوبية للجزيرة العربية –في الفصل الذي يحمل عنوان (في حضرموت) صفحة 38 صورة لأحد البيوت وقد نصبت في سقفه قرون الوعل (المؤلف).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225
للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +966535307788

المحتويات

- **تصدير** ٥

- **رحلة إلى حضرموت** .....

أدو لوف بارون ريدي ADOLPHE PARON WREDE.... ٧

- **محاولة ثانية لفهم السياق التاريخي لحصن العر في حضرموت** ..

أي. جي. كيل (E.J. Keall)..... **٢٣**

- **وصف لبعض النقوش التي تم العثور عليها في الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية** ... (ج. جي هولتون) و(ج. سميث)

J. G. Hulton and J. Smith..... **٤٩**

- **أرضٌ بِلا ظِلال** ..... هانس هيلفريتس (Hans Hilfritz)

..... ٦٧

- **إله القمر في العملة الحضرمية** . جون ولكر(١٩٥٢) JOHN WALKER.. ٩١

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم 00201008170225